موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

بلدة الفريديس

قضاء حيفا

إعداد:

الباحث والمؤرخ والتربوي

مروان الماضي

2026

موسوعة القرى الفلسطينية
Encyclopedia of Palestinian villages

بلدة الفريديس

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

إهداء 7

تقديم 8

مقدمة 10

الفصل الأول: لمحة جغرافية 11

الموقع والوصف الجغرافي 11

أصل التسمية 12

السكان 12

الفصل الثاني: لمحة تاريخية 17

الحقبة القديمة 18

التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي 20

التقسيم الإداري الإسلامي لفلسطين في الفترة العثمانية 21

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية 22

تسميات لبعض المعالم 22

عائلات الفريديس 26

التعليم 26

الفصل الرابع: الحياة الاقتصادية 28

الزراعة 28

الصناعة 29

السياحة 30

الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية في الفريديس 32

الطب الشعبي 32

في التقويم الشعبي 34

الألعاب الشعبية 35

الفصل السادس: الفولكلور الفلسطيني في بلدة الفريديس 38

الغناء: أنواعه ومعانيه 38

الفصل السابع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين 52

حرب (1967م) خطة إسرائيل باحتلال بورسعيد عن طريق خان يونس ورفح 56

الفصل الثامن: ثقافة المقاومة السلمية 58

القصة في واقع الثقافة الفلسطينية 58

التمثيل والمسرح 59

الفصل التاسع: سياسة دولة الانتداب البريطاني على فلسطين لإقامة دولة إسرائيل 66

الفصل العاشر: انتفاضات شعب فلسطين 73

الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) 74

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) 76

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى 77

إهداء

إهداء إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين، نذكرهم بأهمية فلسطين.

فلسطين، هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به العيون، تهفو له القلوب وتترنم به المشاعر، والقلوب تبكي لفراقه، وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله من الباقين والمبعدين من أصحابه عرب فلسطين.

لم تمض ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين في أجواء الكون، تحمله موجات الأثير، المسموع منها والمرئي والمقروء، حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس. لماذا كان لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا، أفريقيا).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط، وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع: كروم وزيتون وتين ولوزيات وحمضيات، وهي أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج مثل الجرمق وكنعان في صفد، وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت (–435م تحت سطح البحر).
- هي مهبط الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة (المصرية، الكنعانية، البابلية، الآشورية، الكلدانية، الآمورية، اليونان، الرومان، الفرس وغيرهم).
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
- التقت فيها البضائع والسلع من الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية واللبن والصمغ اليمني والتمور العراقية والبروكار الحريري الدمشقي والسجاد الفارسي والزجاج الخليلي والأصبغة الفينيقية.

تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي، يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة واستثنائية من حيث الثقافة الواسعة والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات وامتلاك أدوات البحث، والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة. ولهذا كله، أو بسبب هذا كله، تعددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم، المعلم، والتربوي الكبير... إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين، ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلةً أمام عينيه تستحوذ على فكره وعقله وإحساسه. ويدرك الأستاذ مروان أن الوطن "فلسطين" قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني، له أيديولوجية خاصة، وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود ومحو الأسماء وطمس المعالم وسرقة الآثار وتشويه التاريخ وتزييف الوثائق ونفي الهوية الوطنية وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين، وأصبح الصراع صراع وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة. ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض؛ على اعتبار أن فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية لماضيها وحاضرها ومن ثم مستقبلها. ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية، وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق، يهدف إلى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام. ولهذا فإن كتاباته تندرج في إطار مواجهة الممارسات الصهيونية، أي تندرج في إطار أدب المقاومة، إذا استخدمنا كلمة أدب بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة، وهي مهمة وطنية ملحة في ظل محاولات التذويب والطمس والنفي، كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية. وعندما يكتب عن مدينة أو بلدة مثلاً، نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي، ثم ينتقل للبعد التاريخي من غزوات وتضحيات، ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وأدواتها، ثم الحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم، وللمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث، إلى الفولكلور وغناء ودبكات، إلى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن. وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى، ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ.
- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية.
- الحفاظ على كل شيء (إحياء اللهجة والعادات وكل شيء يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن ألخص للقارئ ما كتبه المؤلف؛ لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر بحرارة الإخلاص والحس الوطني الصادق والتماهي مع المكان وناسه وتاريخه، ويمنحه علماً ومعرفة بأهمية بارزة، وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدة العرب.

د. شكري عزيز الماضي

مقدمة

لقد جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني منذ دخولهم أرض فلسطين، واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص، فأقاموا المستعمرات المغلقة وبشكل خاص المزارع الجماعية (الكيبوتز والموشاف)، واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935م، واستمروا في تحويل الأراضي لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور. وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري ليصبح وسيلةً فاعلةً من وسائل التحدي للمقاومة العربية وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية.

وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية وزيادة العداء بينهم وبين سلطة الاحتلال والعرب، وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي، الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي يجعلونه نسراً في بلادنا، وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حماية الوطن، وليس على عدو افتراضي.

هل حماس الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة إسرائيل ومناصرتها، ظالمةً كانت أو مظلومة، رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل، هل هذا الحماس هو حباً باليهود أم كرهاً للعرب؟ والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدون في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا إلى ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات. وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب، فإن الميزان ليس مستقراً في العالم، وسيكون دمارهم على يد من صنعهم، وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام وبإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب أمةً للمتقين.

المؤلف

الفصل الأول:لمحة جغر افية

الموقع والوصف الجغرافي

تقع بلدة الفريديس إلى الجنوب من مدينة حيفا، يخترقها الطريق الساحلي الذي يصلها مع حيفا ويافا. وامتداد البلدة يتجه من الشمال نحو الجنوب الشرقي. تجثم على المخروط الغربي لجبل الكرمل الجنوبي على ارتفاع 50 م عن سطح البحر، تتسلق البلدة سفحه الغربي وتطل على ساحل البحر وسهوله الواسعة الخصبة. لها إطلالة رائعة نحو الغرب، كما تتصل أراضيها بأراضي الروحاء الخصبة شرقاً.

ومما يزيد البلدة جمالاً وجودها فوق طبقات من الحجر الكلسي النفاذ لأمطار الشتاء. تمتص هذه الصخور مياه الأمطار كالإسفنجة وتختزنها في جوفها وتخرجها ينابيع لذة للشاربين. كما أن هذه الصخور الكلسية تدخل في بناء المساكن وتجعلها بيضاء ناصعة، وقد عمل أهلها على تزيين سقوف بيوتهم بالقرميد ليظهر لونها القرمزي ليخطف العيون والأبصار.

تأسست البلدة عام 1600 على يد قبائل آل طرباي الحارثية، والتي بنيت عن طريقهم عدة قرى في قضاء حيفا على جبل الكرمل. ويقال إن أول من سكنها عائلة مرعي، جاء جدهم من مصر واستقر بها، وجاءه ولد اسمه مرعي، وخَلّف مرعي ذريةً كوّنوا عائلة كبيرة اسمها عائلة مرعي، وهي أكبر العائلات ولا تزال، تليها عائلة أسمر خليل وعائلة حامد.

قال عنها المؤرخ مصطفى الدباغ: "الفريديس من الفردوس، وهي قرية صغيرة مساحتها ستة دونمات، تقع إلى الجنوب الغربي من جبل الكرمل وعلى بعد 30 كم من مدينة حيفا. في شمالها الغربي تقع بلدة الطنطورة والقريبة منها على مدى 2 كم، كما تبعد عن مستوطنة زخرون يعقوب (زمارين) 500 م، إذ يفصل بينهما شارع وادي الملح (الدفلى) والذي يصب جنوبي الطنطورة 4 كم."

تملك بلدة الفريديس 4450 دونماً، صادرت السلطات الإسرائيلية أغلبها ولم تترك لأصحابها سوى 1500 دونم. وهناك محاولات لمصادرتها لإقامة مراكز تجارية عامة ومحطة سكة حديد في المنطقة الواقعة غربي القرية (يعني غرب شارع حيفا تل أبيب)، والذي يحول دون توسع القرية غرباً وتطورها وانتعاشها(1) .

تتمتع الفريديس بموقع هام تتجلى أهميته فيما يلي:

1) أنها تقع على تلة لامتداد نهايات جبل الكرمل الغربية على علو يقدر بـ 50 م عن سطح البحر.
2) ينفرج أمامها غرباً سهول واسعة مغطاة بغطاء أخضر من خضرة ومزروعات.
3) يخترقها الطريق الدولي العابر الذي يصل شمال البلاد بجنوبها، والذي تتفرع عنه طرق تصل الساحل الغربي بالداخل الشرقي.
4) يسمح الموقع بدخول المؤثرات البحرية دون عوائق من رياح ونسيم عليل صيفاً وأمطار شتاءً وندى يساعد في زراعات بعلية.

5) جذبها للسكن والإسكان، إذ ساعد موقعها وحلاوة جوها ووجود الأحراش والصخور الكلسية المناسبة للبناء وغناها بالينابيع والتربة الخصبة.
6) كل هذه الميزات جعلتها جاذبة للسكان، وبشكل خاص هروب بعض أهالي قرى مجاورة احتلتها إسرائيل عام 1948م مثل أجزم وعين غزال وجبع والطنطورة وغيرها من التجمعات السكنية القريبة منها، مما جعل قرية الفريديس بلدة مميزة بعدد سكانها حتى تجاوز عددهم العشرين ألف نسمة عام 2012م.

أصل التسمية

إن اسم الفريديس مشتق من كلمة فردوس أي الجنة، وذلك نظراً لخصوبة أراضيها، إذ اشتهرت بكروم العنب وبساتين الفاكهة(2) .

تمتد البلدة من الشمال نحو الجنوب، وتتجمع بيوت القرية القديمة لتشكل منظر دائرة. والشيء الغريب لبقاء هذه القرية دون غيرها من القرى المجاورة، هو ادعاء الصهاينة أن أهالي البلدة وقعوا قبل النكبة على تسليم أسلحتهم والاستسلام لليهود، على خلفية مقتل أحد الفلاحين في كيبوتس (شفيا) ونسب هذا الحادث إلى أهالي القرية يومها، رغم إنكار سكان البلد الحادث إنكاراً حاسماً. وبما أن أهل الفريديس وقعوا على وثيقة الاستسلام، لم يسر عليهم ما سرى على الجماهير العربية بعد النكبة، وهكذا بقيت الفريديس.

السكان

وقد تطور عدد سكان بلدة الفريديس كما يلي:

العام	عدد السكان
1922	352 نسمة
1931	454 نسمة
1948	891 نسمة
2012	13000 نسمة

وأول من سكن قرية الفريديس هم أبناء عائلة خليل: مرعي، حامد وبرية. حيث جاء شخص يدعى "الشيخ غنيم" من مدينة بنها المصرية وسكن الفريديس، وأنجب ابناً واحداً اسمه (مرعي). وأنجب مرعي فيما بعد أربعة أبناء: يحيى، أحمد، عيسى، وعبد الله. وتكاثرت ذرياتهم مع الزمن، وجاءتهم وفود المهاجرين كما أسلفنا، حتى بلغ عدد السكان حالياً ما يقارب الثمانية عشر ألف نسمة، يتوزعون على 3600 وحدة سكنية، موزعين في سبعة أحياء سكنية:

- **حي البلدة القديمة** :ويعتبر مركز معظم الخدمات العامة، تقع فيه بناية المجلس المحلي، والمسجد الكبير، ومدرسة ابتدائية، وفرع بريد، والعديد من المحال التجارية.
- **الحارة الشرقية**.
- **حارة الشيكون**.
- **طريق العين**.
- **حي الشاغور** :الممتد من مركز البلدة إلى حي الشيكون والمقام في وادي الشاغور.
- **الحارة الشمالية**.
- **حي الظهرات** :الذي سمحت السلطات البناء به قبل عدة سنوات حيث ضاقت البلدة بسكانها وبدأوا بالهجرة إلى قرى المثلث.

لقد دأبت الدعاية الصهيونية على أنهم مؤسسو الحضارات ودعاة التقدم والإنسانية وأخيراً الحرية والديمقراطية. فهل كان لليهود حضارة؟

دعونا نستمع إلى أقوال علماء الغرب من غير العرب:

يقول غوستاف لوبون: "ولما دخل اليهود إلى فلسطين، وجدوا مدنها وقراها ومزارعها، وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة لا تجمعها وحدة. وقد وجدوا بيوتاً مملوءة بالخيرات، فالمدن كانت عظيمة لم يسوروها، وآباراً محفورة وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها. وتعلموا من الكنعانيين العرب الزراعة، واقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف، منها على سبيل المثال: صناعة الفخار، والخبز بالتنور، وصنع الخمور، وتربية النحل، وصنع الثياب، إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني، وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص، كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص."

ويتابع غوستاف لوبون: "ومن المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً ورقياً من الكنعانيين، والذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافاتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية."

ويقول سيغموند فرويد عالم النفس اليهودي: "وفي الأسر البابلي بقي اليهود سبعين سنة، وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي، إذ تغيرت أثناءها أحوالهم ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة، فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم وتأثروا وتخلقوا بالبابلية. لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين، فتولدت عندهم عقدة النقص. وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة، نسبوا لأنفسهم كل عظيم."

ويقول المؤرخ فيليب حتى: "ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة. وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية، وكان الموسيقيون الأول في الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم. وعندما بدأ داوود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقّاها سليمان من بعده، لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني". ويتابع حتي: "إن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه

في تقديم الأضاحي لإلههم فينوس إله الخصب، وكان الرجل يقطع حلمة بشره ليقدمها على المذبح، وكذلك الفتاة العذراء كانت تفض بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً، فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم(3) ."

ويقول العالم بروستد: "لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. كانت بيوتهم متقنة حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف هامة. حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم. وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلت في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي. وبعد زمن معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم"، كما هو حال المهاجرين العرب إلى أمريكا إذ ينخرطون في مجتمعهم يكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم.

نحن لا ننكر ما وصل إليه اليهود في العالم وما حدث لهم من ظلم الشعوب لهم عبر التاريخ، إذ تعرضوا للقهر والإهانة وبشكل خاص في القرون الوسطى. وهم يعترفون، وكتبهم عبرت، بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجدوه في أي شعب ساكنوه، إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية، بينما احتضنهم العرب في الأندلس وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء، حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة. أما الآن فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية، إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والأمريكي وباتت الصهيونية أداة هدم وتخريب ودمار لنهضة العرب بعد تخلصها من الحكم العثماني. ونحن نرى كيف جعل الاستعمار البريطاني أولاً والأمريكي ثانياً من الغراب نسراً يهدد الأمة العربية بقوته العسكرية ونهب خيرات العرب، وكأن العرب هم أصحاب الهولوكوست. إن الحضارة التي تتغنى بها إسرائيل هذه الأيام ما هي سوى حضارة غربية جلبها المهاجرون إلى فلسطين بمساعدة الاستعمار من رغيف الخبز حتى النووي. يقول أبو تمام الشاعر المعروف: "اغترب تتجدد."

والعرب لم يكونوا نكرات حتى زمن الحكم العثماني، إذ بقيت الحضارات العربية والإسلامية ماثلة، إذ قام السلطان العثماني سليم الأول بسحب كبار الفنيين والحرفيين من مصر وبلاد الشام إلى إسطنبول للإفادة منهم في تطوير المهن عندهم على حساب حرمان العرب من هذه المظاهر الحضارية، وبقي العرب في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر وعرب شمال أفريقيا يغطون في نوم عميق من العلم والتطور.

الاستعمار الاستيطاني و أثره في نكبة فلسطين:

لقد خطط الاستعمار البريطاني لإضعاف العرب وتمزيقهم عن طريق زرع كيان غريب في قلب الأمة العربية في فلسطين. وكان من عادة وزارة الاستعمار البريطاني وضع خطة لكل مئة عام لمستعمراتها. وفي عام 1906 وضعت خطة جديدة مع الصهيونية العالمية لحل المسألة اليهودية في أوروبا بدعم اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، غايتها حل المشكلة

اليهودية وتخريب وحدة العرب وإضعافهم بوجود عدو مستديم يمنع توحدهم ويجبرهم على شراء السلاح ونهب أموالهم وتدمير ما بنوه بأموال البترول الذي حولوه نقمة بدل أن يكون نعمة.

وقد اتبعت الصهيونية كل الأساليب لانتزاع أرض فلسطين من أصحابها، ولجأت إلى التحايل وكل الأساليب غير الأخلاقية، منها على سبيل المثال خلق وسطاء من قناصل الدول لشراء الأراضي باسمهم ثم تحويلها إلى اليهود. وقد سبق للسلطان عبد الحميد أن أصدر فرماناً عام 1886م يحذر فيه من بيع أراضي في فلسطين لليهود. وإليك عزيزي القارئ ما ابتاعته الصهيونية من أراض بنت عليها المستعمرات التالية في ظل العثمانيين:

1) **بتاح تكفا** :ومعناها (باب الرجاء)، أقامها الصهاينة عام 1881م على أراضي ملبس قرب يافا وعلى قسم من الأراضي البالغة عشرة آلاف دونم اشتراها الصهاينة من مالكها اللبناني (تيان).
2) **ريشون ليتسيون** :أقامها الصهاينة عام 1881م على أراضي (عيون قارة) العربية وتبلغ مساحتها 2340 دونماً، حجزتها الحكومة التركية وعرضتها للبيع بالمزاد العلني بسبب عجز أهلها أصحابها العرب عن سداد الضرائب للحكومة التركية. فحاول مهاجر صهيوني من الروس (ليغونتين) شراءها، لكن الحاكم العسكري التركي رفض استناداً إلى قرار السلطان بمنع بيع الأراضي في فلسطين لليهود. فقام القنصل البريطاني في يافا وهو الحاخام أمزيبليغ بشراء تلك الأرض من الحكومة بصفته قنصل بريطانيا بسعر 15 فرنكاً للدونم الواحد، وقام بعد ذلك بتحويلها إلى الصهاينة وأقاموا عليها مستعمرتهم ريشون ليتسيون.
3) **مستوطنة روشبينا** :أقامها الصهاينة على قطعة أرض يملكها يهوديان من يهود صفد، فريدمان وفشتاين، من ضمن أراضي قرية الجاعونة، سبق أن ابتاعها من مالكها اللبناني ثم باعها إلى روتشيلد عام 1882م، حيث أقام عليها 50 عائلة من مهاجري رومانيا.
4) **زخرون يعقوب (زمارين)** :أقيمت عام 1882م على قطعة أرض مساحتها 5000 دونم اشتروها من أحد المستثمرين الفرنسيين، وتقع أراضيها على جبل الكرمل الجنوبي لحيفا. وكان الفرنسي يزرعها بالعنب للتصدير إلى معامل الخمرة، وتم بيعها عن طريق القنصل الألماني والنمساوي ويدعى إميل فرانك، وكان إلى جانب كونه قنصلاً وكيلاً للسفن البريطانية التجارية في الموانئ العربية. وزخرون يعقوب هذه سميت على اسم جيمس (يعقوب) روتشيلد، ترتفع عن سطح البحر زهاء 170 متراً.
5) **مستوطنة نس تسيونا** :أقامها الصهاينة عام 1883م على مساحة 2000 دونم من سهل الحولة، اشتروها من قنصل فرنسا ووكيل القنصلية في صفد ويدعى يعقوب عبو، وسبق له أن ابتاعها من مالكها اللبناني (تيان)، وأقام فيها مهاجرين من بولونيا.
6) **مستعمرة المطلة** :أقامها الصهاينة عام 1883م على أراضي قرية عقرون قرب يافا، واشتروا أراضيها من مالكها اللبناني (تيان).
7) **مستعمرة عقرون (مركز بيت بانيه)** :أقامها الصهاينة عام 1883م على أراضي مقرون قرب يافا واشتروها من مالكها اللبناني (تيان).

8) **مستوطنة غديرا** :أقاموها عام 1884م على أراضي قرية قطرة قضاء الرملة، اشتراها القنصل الفرنسي في يافا.
9) **مستوطنة مائيرطوقيا** :أقامها الصهاينة عام 1887م قرب يافا، واشتروا أرضها من مالكها اللبناني (تيان).
10) **مستوطنة شلومو** :أقاموها عام 1889م على نفس الأرض التي أقاموا عليها زخرون يعقوب والتي اشتراها المالك الفرنسي جنوب حيفا على الكرمل.
11) **مستوطنة الخضيرة** :أقاموها عام 1890م على أراضي الخضيرة العربية على ساحل جنوب حيفا.
12) **مستوطنة شفيا** :أقاموها عام 1889م على أراضي زخرون يعقوب.
13) **مستوطنة دحقوت** :أقاموها عام 1890م، اشتروها من مالكها اللبناني (تيان) جنوب حيفا.
14) **مستعمرة مشمارهيادن** :اشتروها من ملاكها اللبنانيين قرب الحدود السورية الشمالية مع فلسطين عند جسر بنات يعقوب.
15) **مستوطنة سوتا تحتين** :أقيمت عام 1894م قرب مدينة القدس على أرض يملكها اليهودي البريطاني (مونتغور).
16) **مستعمرة غان شيموئيل** :أقاموها عام 1894م.

وكان يقيم في هذه المستعمرات الأربعين حوالي 12 ألف مستوطن حتى عام 1918م، وهو تاريخ الانتداب البريطاني لفلسطين، ليستمر حكم بريطانيا حتى تحقق للصهيونية أكثر مما تتوقع في سلب الأراضي وفتح أبواب الهجرة على مصراعيها، وسهلت للصهيونية كل مقومات وجودها الاقتصادية والمؤسساتية والمنظمات والعصابات العسكرية حتى باتت دولة إسرائيل داخل الكيان البريطاني.

وقد عملت حكومة الانتداب كل ما وسعها لتقديم ما أنجزته هذه الحكومة الظالمة لشعب فلسطين من قهر وذل وعقاب. لقد قدمت الحكومة البريطانية كل ما بنته من موانئ ومطارات ومصافٍ للبترول ومعسكرات كانت تأوي 80 ألف جندي، وطرق معبدة وخطوط حديدية لم يوجد مثلها في الشرق الأوسط، وسلمتها على طبق من ذهب مطلي بدماء أبناء فلسطين دون وخز ضمير أو مسحة إنسانية. لقد أوفت بريطانية المجرمة بوعدها المشؤوم، وهي التي أقامت دولة إسرائيل بكل مقوماتها(4) .

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، مج1، ص227.
(2) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
(3) تاريخ سورية القديم، ج1، فيليب حتى.
(4) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة.

الفصل الثاني: لمحة تاريخية

لقد كانت فلسطين من المناطق الجاذبة للسكان منذ أعماق التاريخ، قبل تدجين الحيوانات، حين بدأ الإنسان حياته بالصيد ثم مارس الزراعة والاستقرار. وذلك مما شجع الناس على السكن فيها لموقعها وجودة مناخها وخصب أرضها. وقد توجها الله بالديانات السماوية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، كما حباها الله بالساحل والسهول الواسعة والهضاب والجبال العالية والمنخفضة في شرقها، وخلق فيها المنخفضات والأغوار، ووهبها أفضل نقطة في العالم كله وهو البحر الميت، 400 م تحت سطح البحر.

وكان كل هذا الاختلاف في التضاريس سبباً في اختلاف المناخ والطقس، مما جعل فيها تنوعاً في المزروعات التي يشهدها العالم هذه الأيام. فترى الحبوب والبقول والحمضيات في السهول الساحلية والداخلية، والأشجار المثمرة من فواكه ولوزيات وكروم وزيتون. وفي الأغوار الموز والنخيل، حتى شجرة الهيفيا (المطاط) تمت زراعتها بنجاح، وهي نبات استوائي. وقد أتاها البشر من كل الأجناس، وعبرتها الجيوش المتحاربة، ووقعت فيها أعظم المعارك (حطين وعين جالوت). لقد تجمعت في فلسطين كل المواد التجارية العالمية، فكنت ترى الكتان والقطن والسكر المصري، والتوابل الهندية، والبن والصمغ اليمني، والفخار والأرز الصيني، والسجاد العجمي، والتمور العربية، والحرير الدمشقي، والزجاج والأصبغة الفينيقية، إلى جانب الجلود بأنواعها والنحاسيات بأشكالها، ومن الحبوب والبقول ما أكثرها.

كما تفنن الفينيقيون بتجارة الأصبغة واحتكروا صناعتها وبيعها، ووصلت مراكبهم البحرية أوروبا وأفريقيا. وقد استطاعت الأساطيل العربية البحرية السيطرة على تجارة العالم القديم في القرون الوسطى، كما كانت القوافل البرية تنقل جميع البضائع بين كل مناطق العالم القديم أيضاً. وكان لهم الفضل في نشر الدين الإسلامي في أقاصي البلدان الآسيوية(1) .

وأول من سكنها من العرب الكنعانيون منذ الألف الثاني قبل الميلاد. وقد مارس الكنعانيون الزراعة وأبدعوا فيها، كما بنوا بيوتهم على المرتفعات وسوروها حماية لهم. وكان لكل مجمع لهم خصوصياته، ولم يفكروا بإقامة دولة لهم، عدا ملك القدس (ملكي صادق) الذي كانت حدود مملكته لا تتجاوز مدينة الخليل. وكان هم الفلسطينيين في حياتهم هو العناية بالزراعة، وقد اهتموا بزراعة الزيتون والكروم، ويدل على ذلك معاصر الزيتون المحفورة في الصخر وكذلك معاصر العنب. لقد حفروا على جدران مخازن الخمور في ميناء عتليت: "لقد ملأناها خمراً فملؤها تبنًا". وأيد ذلك الشاهد ما قاله طبيب فرعون (سنوحي) عندما وصف فلسطين والشعب الكنعاني الذي استضافه طيلة أيام غربته في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد بقوله: "إن فلسطين وأهلها، خمورهم أكثر من الماء الذي يشربونه". فهي أرض الخمر والعسل. كان هذا الرجل قد هرب من الفرعون الجديد الذي أطاح بأخناتون، فجاء واختفى بفلسطين، فأكرمه الفلسطينيون وعاش بين ظهرانيهم وتزوج كنعانية وولدت له. وعندما رجع إلى مصر ظل وفياً، فأشاد بشعب سكانها وذكر كرمهم وحياتهم المتطورة، وهذا ما تشهد به الآثار من حضارة في البناء والفنون والصناعات والملبس وطرق الحياة الراقية.

بينما استطاع الفينيقيون إقامة دولة لهم في تونس، عاصمتها قرطاجة التي بنوها ولا تزال آثارها ماثلة حتى هذه الأيام. وكان قائدها حنبعل من القادة الفينيقيين الذين خططوا لاحتلال إيطاليا وأوروبا، لكن حملته فشلت على جبال البيرينيه لوعورة الطريق وبرودة الجو والجليد مما جعله يتراجع خائباً. ومع ذلك، بقي الأسطول الفينيقي هو المسيطر على البحر.

وقد تعرضت فلسطين بعدها لاصطدام الحضارات ممثلة بحضارات ما بين النهرين (العراق): كلدان، بابل، آشور، وبين المصريين القدماء (الفراعنة). كما خرج منها الهكسوس واحتلوا مصر مدة من الزمن. وخضعت فلسطين لحكم الفراعنة مدة طويلة لأنهم كانوا يعتبرون فلسطين هي البوابة الشرقية لمصر، لذلك كانت تدار فلسطين من قبل أمراء تابعين للسلطة الفرعونية.

وبعدها جاء اليونان والفرس، وبعدهم جاء الرومان حيث أصبحت فلسطين تابعة للقيصر. وكان من حكامها هيرودوتس، الذي كان مخلصاً لليهود. ومع أنه كان من أشد أنصار الرومان وعمل بقوانينها وشرائعها، وقد حرم على اليهود تطبيق شريعتهم إلا في الدين اليهودي، ولم يسمح لهم بالتعدي على القانون الروماني. واختار معاونيه من الآدوميين والفينيقيين والمصريين. ومن المعروف عمق العلاقة التي ربطت بين الرجلين: هيرودوتس العسقلاني الآدومي ومارك أنطوني الروماني، وهو ما كان والده يعمل به من قبل، لذلك كانت له حظوة عند القياصرة الرومان. ومع ذلك، نرى الصهيوني ليبرمان يحاول هذه الأيام تجيير هيرودوتس وسياساته في توسعاته في أرض فلسطين. وقد سبق لهيرودوتس أن بنى قصراً على تلة اصطناعية يطلق عليها السكان المحليون (جبل الفريديس)، وهو مخروطي الشكل قطره 290 قدماً، ويمكن رؤية مواقع في القدس وغور الأردن وجبال مؤاب الأردنية والبحر. أنا لم أدخل هذا الموضوع جزافاً، وإنما أحذر العالم من نية ليبرمان في أن يجعل من القائد الروماني المخلص لإمبراطوريته التي هدمت هيكلهم وشردتهم وشتت شملهم عام 70 ميلادية، قدوة له.

وقد قسم البيزنطيون فلسطين وضموا لها منطقة عجلون وجرش والكرك وعمان (فيلادلفيا). ويوجد في مدينة مأدبا جنوب عمان خريطة لفلسطين صُنعت من الفسيفساء.

الحقبة القديمة

اتخذ السلوقيون مدينة أنطاكية عاصمة لسورية وفلسطين. وتجلت الفترة الاستقلالية لدى الجماعات المحلية أيضاً، فقام اليهود بالثورة بزعامة المكابيين وأخذوا يحاربون أنصار الحضارة الهلنستية من اليهود وسائر السكان من غير اليهود، مثل التطوريين. وفي الوقت نفسه، برز الأنباط العرب الذين انتزعوا سورية المجوفة من أيدي السلوقيين حوالي سنة 85 قبل الميلاد، وفرضوا حمايتهم على دمشق مدة من الزمن.

زمن الرومان

استمرت الحضارة الهلنستية في سورية وفلسطين بعد استيلاء الرومان على البلاد عام 64 قبل الميلاد، إذ أصبحت (ولاية إمبراطورية) تابعة للإمبراطور نفسه، يعهد بإدارتها إلى نائب عنه برتبة قنصل، وتحت أمرته قوة عسكرية مؤلفة من أربع

فرق، وتساعده هيئة من الموظفين تعنى خاصة بجباية الضرائب (العصر الروماني). كذلك احتفظت الجماعات المحلية في عهد الرومان بنظام حكم ذاتي، فكان هناك آراميون يسيطرون على شؤونهم الداخلية، وكان هناك أعراب بدو يخضعون لنظام قبلي، في حين كان لليهود رئيس طائفة تعينه الطبقات الأرستقراطية.

وقد اهتم الرومان بتأمين حدود سورية وفلسطين وحمايتها من هجمات الفرس وغزوات القبائل البدوية، فأنشأ الإمبراطور تراجان في سنة 105م الولاية العربية التي تضم البتراء وفلسطين وسورية، وأقام سلسلة من المراكز الحصينة على طول حدود الصحراء، ورصف الطريق العسكري الذي يربط مدن دجلة بعكا وصور والشقيف.

تشير المصادر إلى أن فلسطين في ذلك العهد (القرن الرابع الميلادي) كانت تقسم إلى ثلاث ولايات: فلسطين الأولى والثانية والثالثة (الصحراوية)، في حين كان جزء من شمال فلسطين (سهل عكا ومنطقة حيفا) يتبع ولاية فينيقيا. وقد ذُكرت قلقيلية في هذه التقسيمات في منطقة فلسطين الأولى من قضاء رأس العين والمعروف باسم أنتيباتروس(Antipatrus) ، وكان يتبع هذا القضاء إدارياً 10 قرى.

العهد الإسلامي

بعد أن تم الفتح الإسلامي لبلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، قسم البلاد الشام إلى 4 أجناد هي: حمص، دمشق، الأردن، وفلسطين. وجند فلسطين يضم المناطق الوسطى الجنوبية من فلسطين الحالية وقسماً من شرق الأردن، وكانت اللد قصبة هذا الجند، وبالتالي كانت باقة الغربية في إطار جند الأردن. وظل هذا التقسيم معمولاً به طيلة فترة الدولة الأموية والعباسية مع تعديلات في قصبة هذا الجند بين خليفة وآخر.

التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي

- **الدولة المملوكية**: ظهرت زمن المماليك إبان سلطنة الملك الناصر نيابة غزة عام (1309-1340م)، وتأتي هذه الأهمية والحجم بعد نيابة صفد. أما حدودها فيمكن تقسيمها إلى قسمين: الأول حدود ثابتة تشمل مدينة غزة وقراها، والثانية حدود غير ثابتة تتجاوز أحياناً القسم الأول إلى المناطق المجاورة مثل القدس والخليل ونابلس وقاقون واللد. ويرجع هذا المد والجزر إلى قوة نائب السلطنة في نيابة غزة. أما نيابة القدس فقد استحدثت أيام السلطان الملك الأشرف عام 1375، واشتملت منطقتي القدس والخليل. والنيابة الثالثة: نيابة صفد التي تقع باقة الغربية في كنفها، وتدعى في ذلك الوقت مملكة صفد، وتضم صور وعكا وحيفا والناصرة بما فيها جبال الجليل والكرمل وسهل مرج ابن عامر.

التقسيم الإداري الإسلامي لفلسطين في الفترة العثمانية

مع بداية العهد العثماني، قسمت الشام إلى 3 ولايات منها ولاية فلسطين، والتي قسمت بدورها إلى 5 ألوية أو سناجق وهي: سناجق القدس، غزة، صفد، نابلس، اللجون. فكانت تتبع إحدى هذه السناجق وهو سنجق نابلس. وفي عام 1660م تشكلت ولاية أخرى في بلاد الشام وهي ولاية صيدا، والتي ضم إليها بعض أجزاء فلسطين. وأخذ ولاؤها لنفوذهم وقوتهم يتدخلون في أمور كل المناطق الفلسطينية بحيث اعتبرت معظم التجمعات السكنية بما فيها قلقيلية في إطار ولاية صيدا ونفوذها. ويذكر أن والي الشام والتي كانت فلسطين تتبعها اضطر إلى طلب المعونة من سليمان باشا والي صيدا بعد أن أخفق في مواجهة ثورة أبي عودة الجيوسي في صوفين في القرن التاسع عشر.

في عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566م)، وضع نظام جديد لإدارة بلاد الشام هدفه تقوية السلطة العثمانية، فقسمت بلاد الشام إلى ثلاث ولايات (إيالات): ولاية دمشق وولاية حلب ثم ولاية طرابلس، وألحقت بكل ولاية عدد من السناجق. وقد كانت سناجق نابلس وغزة والقدس واللجون جميعها تتبع ولاية دمشق. وكانت المنطقة التي مركزها جنين فلها وضع خاص، فقد أقطعها العثمانيون آل طرباي وهم من أفراد البدو وزعمائهم، وصار يطلق على هذه المنطقة اسم (إقطاع آل طرباي). لكن السلطة العثمانية عمدت إلى تصفية هذا القطاع بسنجق اللجون بعد القلاقل التي حدثت في القرن السادس عشر الميلادي.

وقد انعكست الأوضاع المضطربة التي سادت الدولة العثمانية منذ أوائل القرن التاسع عشر على مختلف نظمها الإدارية والاقتصادية والتعليمية. وكانت فلسطين من بين أكثر هذه البلاد العربية تأثراً بتلك الاضطرابات بسبب تكوينها الجغرافي والسكاني فضلاً عن مكانتها الروحية، فهي لم تخضع لنظام إداري واحد، فقد كان جزؤها الشمالي تابعاً لولاية بيروت والجنوبي لمتصرفية القدس، ووجدت فيها نظم مختلفة في التعليم. وكان اقتصادها يعتمد على الزراعة في الدرجة الأولى وإن وجدت بعض الصناعات المحلية. أما الخدمات فلم يكن لها وجود مهم. وكانت وسائل المواصلات ضعيفة وحالة الأمن مضطربة، وكانت الخدمات الصحية والاجتماعية مقتصرة على بعض المدن الكبيرة. هذا التخلف في الأرياف، التي كان يشكل الفلاحون 75% من سكانها، ساعد المشايخ والأعيان والقبائل في السيطرة على معظم الأراضي الزراعية، بحيث أوجدت هذه الحالة نوعاً من أنواع الإقطاع.

المراجع:

(1)بلادنا فلسطين، مصطفى الدباغ.

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية

تسميات لبعض المعالم

انتقل رئيس العشيرة مع مجلس العشيرة من الخيمة الكبيرة الخاصة بزعيمهم، حيث كانوا يبحثون أمور العشيرة، إلى الديوان الحضري في القرية. وإذا كان بيت الشعر من الأسماء والمصطلحات القديمة، فإن مفرداته تتلخص فيما يلي:

بيت الشعر مؤلف من قماش صوف يُصنع من شعر الماعز، بما فيها الحبال التي تثبت بها الخيمة بقوائم مغروسة بقوة في الأرض على الجوانب، وأعمدة تحتل وسط الخيمة ترفع عليها الخيمة. كما تُفصل الحواجز في الخيمة الكبيرة الواسعة إلى غرف منفصلة للنوم والطبخ والغسيل وغيرها. ويجتمع في الديوان أفراد العشيرة وشيوخها لبحث أمور العشيرة الأمنية والمعاشية وعلاقاتها مع جيرانها. كما يقوم الديوان باستقبال الضيوف والغرباء، فهو بالنسبة لهم مقر ضيافة.

وبعد أن مارس الناس الزراعة والاستقرار، تغير وضع الديوان شكلاً ومضموناً، وتحول الديوان من بيت شعر متنقل إلى بناء من حجر، سقفه معقود بشكل قبة واسعة المساحة، يصلح لإيواء الوافدين بما في ذلك إقامتهم ومنامهم. أرضه مفروشة بالحصر أو البسط من صوف وقطن، تحيط جوانبه الفرش والوسائد والمساند يجلس عليها النزلاء والحاضرون من أهل البلدة. وفي وسط الديوان يوجد (المِدَقُّ) أو (المِنْقَل)، وهو إناء نحاسي في العادة، يُستخدم في إعداد القهوة للضيوف، عليه ثلاثة أباريق بأحجام مختلفة تُصفى بها القهوة عند صنعها، وتوقد النار تحتها بالفحم، ويظل الموقد ساخناً طيلة اليوم. كما يوجد (المِهْبَاج) لدق القهوة، وهو عبارة عن جذع شجرة ارتفاعه 40 سم وقطره 30 سم، مجوف في الوسط، توضع فيه القهوة بعد تحميصها وتُدق بواسطة (المِهْبَاش)، وهو قطعة خشب طويلة، سُمكها كمقبض يد الرجل، مزينة مزخرفة، يستخدمها الرجل ويدق بها القهوة داخل الجرن، ويتفنن بالإيقاع كنغمات موسيقية.

كما يلعب الديوان دوراً بارزاً في نشاطات السكان بالقرية من حل مشاكل، ودراسات المحاصيل الزراعية وإنتاجها وتسويقها، كما يدرسون النواحي التعليمية وعلاقتها في تطوير القرية وتحسين مرافقها وإنشاء شبكات الماء والكهرباء والهاتف، هذا إن لم يكن في القرية مجلس محلي. ويُوظَّف الديوان في ساعات الفراغ للتسلية في بعض الألعاب مثل الطاولة والداما والورق وغيرها من التسليات التي تعوض الذهاب إلى المقاهي. وقد تستخدم الدواوين لسماع الحكواتي وهو يسرد القصص للحاضرين ويمتعهم بالحكايات المتنوعة، الحقيقية منها والخيالية.

وفي كثير من البيوت، تسهر الأسرة على ضوء الفانوس الذي يعمل بالكيروسين (الكاز) أو بزيت الزيتون، وهم يستمعون إلى قصص ألف ليلة وليلة، أو الزير سالم، أو دليلة والزئبق وغيرها. إلى جانب ذلك، كان الفلاح يلجأ إلى تأمين العلف للحيوانات من شعير وتبن، يحفظه في خزانات مبنية في البيوت، وهي عبارة عن قواطع مبنية أمام جدران المخزن، وفيها فتحات في الأسفل تُغلق بسدادة ينهال منها العلف عند إزالة السدادة. وفي قاعة المؤونة هذه، توجد معالف على طول مدخل المخزن، علوها على مستوى صدر الحيوان تساعده لتناول طعامه بسهولة. وفي بعض الحالات، وبشكل خاص في الشتاء، ينام الفلاح مع الحيوانات ليحمي نفسه من البرد الشديد، وكأنه يرقد في حمام دافئ من دفء الدواب.

وفي هذا المخزن، تجد الجرار الضخمة المصنوعة من الفخار والبورسلان، ضيقة العنق، يُخزن فيها زيت الزيتون، لها غطاء يُغلق بغطاء من الفخار أيضاً. ولا يخلو بيت من بيوت القرية من أوانٍ نحاسية تُدعى (الدست)، يُغلى فيه القمح لصنع البرغل، ورب البندورة، ودبس الخروب، ودبس المشمش، وغيرها من مربيات الفواكه. ولا بد من وجود طاحونة تتألف من قاعدة مستديرة من الحجر الأسود (بازلت)، وقطعة أخرى مثلها يتخللهما ثقب يثبت في نصفه عمود مستدير، والقطعة العليا مثبت عليها قبضة من الخشب. تقوم المرأة بوضع البرغل أو العدس أو الفول... إلخ، في جوف الطاحونة وتُديرها باليد، فينزل البرغل أو العدس أو الفول عن أطرافها وقد تكسر إلى قطع صغيرة وهكذا. نجد الآن هذه الظاهرة قد اختفت، وربما بقي منها الشيء النادر هذه الأيام بعد أن حلت محلها المطاحن الآلية على أنواعها.

يربي الفلاح عادة في بيته الدواجن من دجاج وبط وحمام وديك رومي، إلى جانب تربية الأرانب. وتقوم المرأة بكل هذه النشاطات لتكفي عائلتها ما تحتاجه من غذاء وأسباب حياة، إذ تتحمل المرأة في قريتها كل الصعاب من علف الدواجن وتأمين المسكن الآمن لها وجمع البيض وحفظه كل أسبوع وبيعه للتاجر المتجول. كما أنها تؤمن الخبز والطعام بما يعطيه الحمام والدجاج من لحوم وبيض، وتقوم بحلب البقر والغنم، وتصنع اللبن، واللبن المصفى، والجبن، والزبدة، وغيرها من منتجات الحليب.

أدوات المطبخ الفلسطيني:

- **السكين**: ويُقال لها (خَوْصَة) في بعض قرى حيفا وجنين وفي بعض الألوية.
- **الملعقة**: ويُقال عنها (زَلْفَة) في قضاء حيفا ووسط فلسطين، وهي تكون من خشب أو من نحاس ومعادن أخرى.
- **الصحن**: ويُقال عنه (سُتِّيَّة) في قضاء حيفا وأكثر ألوية فلسطين.
- **الشوكة**: منها الخشب ومنها المعدن، ويظل اسمها شوكة عند الجميع.
- **طنجرة**: وهو وعاء الطبخ المعروف عند الجميع.
- **مقلاة**: وهي أداة معدنية مثل الصحن ولها يد طويلة، مقبضها من الخشب، مختلفة الأحجام، شائعة عند السكان كلهم.
- **اللَّجْن**: إناء واسع مستدير يوضع فيه الماء، وهو على أحجام مختلفة، يُستخدم لغسيل الثياب وعجن الطحين، وإذا كان كبير الحجم يُستعمل كحمام.
- **الدست**: وهو إناء كبير الحجم مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، يُستخدم في سلق القمح لإنتاج البرغل، كما يُستعمل في صنع رب البندورة، أو رب الخروب والمشمش وجميع المربيات الأخرى.

ومن عادة النسوة في قرى قضاء حيفا، في أوقات فراغهن، العمل بالأشغال البدوية مثل شغل أطباق القش من سيقان القمح والشعير. كما كنَّ يشغلن القبعة، والترويجة، والمشكول، ويُلون القش بألوان متعددة. أما الطبق فهو دائري الشكل على مستويات كبيرة أو وسط وآخر صغير، تقوم النسوة بصنعه بلف حزمة من عروق ساق سنبلة القمح أو الشعير يقدر بثمانية أو عشرة سيقان معاً، ثم تُقمط الحزمة بساق أو اثنين وتُلف الحزمة بشدة. وهكذا تواصل النسوة بوصل اللفة

الأولى بالثانية عن طريق المخرز الذي يُدعى (المِسَلَّة) حتى ينتهي الطبق. وكان يُستغل هذا الإنتاج في وضع الطعام عليه، وتلتف الأسرة حوله لتناول الطعام. وبعض الناس يعلقونه على الحيطان ديكوراً للجدران، وهو بمثابة طاولة السفرة في أيامنا هذه، منه الكبير الحجم ومنه الصغير.

أما القبعة فهي بمثابة طنجرة من القش تتسع إلى 2.5 كغ من القمح. والمشكول عبارة عن سلة لها يد توضع فيها المواد ويسهل حملها، وتمثل حقيبة النساء هذه الأيام. والترويجة كانت توضع فيها خميرة للعجنة التالية وهكذا. وفي بعض قرى حيفا أيضاً، كانت بعض النسوة يعملن في السنارة والصوف: الكنزات، واللفحات، والقبعات. ومن الإبرة والتطريز على القماش، ولكن ليس بجودة التطريز في رام الله وبيت لحم.

لقد تطور عدد سكان الفريديس بشكل طبيعي مع الزمن، إذ كانت قرية متواضعة لا يزيد عدد سكانها عام 1894م عن 300 شخص بين عمر 16-60 سنة من الذكور حسب الإحصاءات العثمانية. وإذا أضفنا الإناث مع الذكور والإناث من سن صفر إلى 6 سنوات بنسبة 2%، يصبح العدد الكلي 1224 نسمة.(1)

وفي عام 1990م بلغ عدد السكان الإجمالي 7000 نسمة. (2)

وقد بلغت نسبة التكاثر عام 2010م 2%، وفي عام 2011م بلغت نسبة التكاثر 3%. وحسب نص قرار المجلس المحلي لبلدة الفريديس، بلغ عدد سكانها 15000 نسمة، وقرروا تحديد أعضاء المجلس بتسعة أعضاء منتخبين لها بدلاً من 11 عضواً.

تأسس المجلس المحلي لبلدة الفريديس عام 1952م، وترأسه منذ عام 2008م يونس مرعي. وفي 2016/10/25 جرى انتخاب السيد أحمد برية رئيساً لمجلس البلدة بعدد من الأصوات 3711 صوتاً مقابل 3696 صوتاً. يترأس المجلس حالياً السيد أحمد برية بنسبة 87% من أصوات الناخبين، ويتكون المجلس من أحد عشر مقعداً موزعة بين أربع قوائم هي: (العلم والإيمان ممثلة بأربعة مقاعد، العدل والإصلاح ممثلة بأربعة مقاعد، الرسالة الإسلامية ممثلة بمقعدين، والهدى ممثلة بمقعد واحد).

دخلت المياه إلى البلدة عام 1950م، والكهرباء عام 1959م. والبلدة موصلة بشبكة هواتف منذ عام 1955م، بينما تفتقر البلدة لشبكة لتصريف المجاري. وعلى مستوى الخدمات الصحية، يوجد في البلدة ثماني عيادات طبية منها: ثلاث لطب الأسنان (خاصة)، وثلاث للطب العام (خاصة)، وعيادة لصندوق المرضى العام – الهستدروت، ومحطة لرعاية الأمومة والطفولة.

لقد عمل المجلس المحلي لبلدة الفريديس جهده لحل مشكلة السير في البلدة وضرورة تخفيف الضغط عن الطريق الغربي العابر، وذلك بفتح جسر شرقي البلدة يمر فوقه شارع موازٍ للطريق العابر غرباً، يربط بين الشارعين بعرض شوارع عرضانية، مما سهل المواصلات بين الساحل والداخل. وكان لهذا المشروع أهميته لسكان البلدة وضواحيها. وقد دُشِّن المشروع برعاية رئيس المجلس المحلي ورفاقه الأبرار، وحضر الاحتفال الوزراء والمسؤولون وغيرهم من المواطنين والجوار.

وقد سُمِّي المشروع "بشارع السلام" الذي أطلقه عليه وزير المواصلات الإسرائيلي الذي تحمس وساهم في إقامته. وقد سبق للجنة اللوائية للتخطيط والبناء في إسرائيل أن صادقت على مشروع جديد يربط مفترق الفريديس ومفرق "زخرون يعقوب" بمفترق "نخشوليم". وقد سبق لأهالي البلدة أن تلقوا رسائل رسمية مما يسمى (دائرة أراضي إسرائيل) تحدد لكل صاحب قسيمة أرض نسبة المصادرة منها.

ويمتد هذا المشروع على مساحات شاسعة تقدر بـ 1275 دونماً، وستتم مصادرة مئات الدونمات من مزارعين وفلاحين من أهالي بلدة الفريديس الذين يملكون أراضي زراعية في السهل، مما سيحرمهم من مصدر رزقهم، لا سيما وأن الأغلبية الساحقة منهم يعتمدون على الزراعة في معيشتهم، وهي المصدر الأساسي أو الوحيد للكثير منهم. وقد قررت اللجنة الإقليمية في حيفا إقامة مشروع بناء 3500 وحدة سكنية في الفريديس للحد من الكثافة السكانية الزائدة عن حدها في البلدة، مما يضطر البعض إلى الهروب إلى مناطق أخرى في مدن المثلث، كما أن تحسن الخدمات في بلدة الفريديس يتطلب مشاريع للسكن.

والناس يسكنون ويتوزعون في سبعة أحياء سكنية كما أسلفنا: حي البلدة القديمة ويعتبر مركزاً لمعظم الخدمات العامة، تقع فيه بناية المجلس المحلي والمسجد الكبير ومدرسة ابتدائية وفرع بريد والعديد من المحال التجارية، والحارة الشرقية، وحارة الشيكون، وطريق العين، وحي الشاغور الممتد من مركز البلدة إلى حي الشيكون والمقام في وادي الشاغور، والحارة الشمالية، وحي الظهرات الذي سمحت السلطات البناء فيه قبل عدة سنوات حيث ضاقت البلدة بسكانها كما أسلفنا وبدأوا بالهجرة إلى قرى المثلث.

الجمعيات والنوادي:

1) **نادي الفريديس** :ويقوم بنصرة ومساعدة النوادي ويسعى إلى تشكيل نوادي أخرى.
2) **نادي شباب وعطاء** :وهو من أقدمها وأشهرها، يشارك في نشاطات عديدة ومساعدة المؤسسات الأخرى.
3) **جمعية صيادي الفريديس (صنارة)** :تعمل على صيد الأسماك وتسويقها، وتنظيم مكان الصيد وزمانه.
4) **جمعية تعاون القرى** :تأسست عام 1924م، وهي فرع للمركز الأول لجميع قرى فلسطين في عهد الانتداب، وهي تهتم بالتنسيق في تحديد المزروعات المطلوبة ومساعدة الفلاحين في الإنتاج وتسويقه وتنظيم الري وتحسين الإنتاج وتطويره.
5) **نادي الشطرنج** :ويقوم بالتدريب والمشاركة في مباريات إقليمية ودولية.
6) **فريق الدراجات الهوائية** :وهو نشاط رياضي ساهم في مباريات إقليمية في قطع مسافة 65 كم من الساحل حتى مدينة أريحا والنقب.
7) **مركز العين السياحي** :ويهتم بجذب السياح عن طريق الرحلات.
8) وتعمل عدة نوادي مثل: بيت الشبيبة التابع للمجلس، ونادي المسنين المحلي، ونادي الهستدروت، ونادي نعمات.

وفي بلدة الفريديس مكاتب سياحية منها:

- مكتب الفردوس للسياحة والسفر.
- مكتب نبيل للسياحة والسفر.
- مكتب السياحة والسفر للمرشد السياحي نعمان برية.

عائلات الفريديس

بشر - مصايرة - مواسي - درويش - عمار - شطروبي - غبس - خطيب - أبو الهيجا - أبو صلاح - عبد الهادي - غنام - أيوب - عساف - خليفة - حسيب - طنيب - دراوشة - جوابرة - عباهري - دكنش - عيسى - عمار - أبو ذيب - أبو داهش - دسوقي - جبارين - بدر - طنجي - حمدان - هندي - الماضي.

التعليم

خلال الحكم العثماني الذي دام أربعة قرون، لم يكن في الفريديس سوى مدرسة ابتدائية واحدة حتى الصف الرابع حسب تقرير عام 1311 هجرية الموافق للعام الدراسي 1893-1894م، يذكر فيه عدد طلاب مدرسة الفريديس بـ 11 طالباً من الذكور فقط(3) .

وفي عهد الانتداب البريطاني الذي دام 30 عاماً من عام 1918 حتى عام 1948م، وهو عام خروجها وتسليم فلسطين بكل أرضها وسمائها وما عليها للسلطات الإسرائيلية بدون وخز ضمير أو جرعة ندم، بينما كان أهلها يهربون من بيوتهم بأولادهم ويهيمون على وجوههم فرادى وجماعات تحت أنظار الجنود البريطانيين وهم يتلذذون في مشاهدة هذه الجموع من أصحاب البلاد الذين تآمروا على إخراجهم من بيوتهم، والذين هدف وعدهم بعدم الإخلال بأمنهم وحياتهم وأملاكهم. لقد بقيت مدرسة الفريديس على حالها ووصل عدد الصفوف فيها إلى خمسة حتى نهاية العهد البريطاني المشؤوم.

وبعد سنتين من الاحتلال الإسرائيلي، صارت المدرسة فيها ابتدائية كاملة حتى الصف السادس. والآن يوجد فيها:

1) المدرسة الشاملة كاملة الصفوف من الأول ابتدائي إلى الثانوي.
2) مدرسة الظهرات الشاملة وهي كاملة الصفوف أيضاً.
3) مدرسة الصديق الابتدائية.
4) مدرسة الفاروق الابتدائية.
5) مدرسة الشافعي الابتدائية.
6) مدرسة عتيد.

ويبلغ عدد الطلاب الملتحقين بهذه المدارس حسب إحصاء عام 1990م: 776 طالباً وطالبة. وفي رياض الأطفال يلتحق 160 طالباً بروضات تابعة للحركة الإسلامية. وفي الدراسات العليا يلتحق 24 طالباً، منهم 19 يلتحقون بجامعات، و15 يلتحقون بالمعاهد والكليات. أما عدد الخريجين فيصل إلى 35 خريجاً(4) .

الجدول التالي يبين لنا نسبة التحصيل العلمي (البجروت) في الفريديس:

	العام 2012	العام 2013	العام 2014
نسبة الطلاب المتعلمين في البلدة	%57	%58	%63
نسبة الطلاب سكان البلدة	%56	%57	%64
المعدل القطري	%64.2	%56.5	%66.1

المراجع:

(1)موجز إحصائي 1990م، مركز يافا للأبحاث.

(2)ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(3)قرى ومدن في إسرائيل، مركز يافا للأبحاث، 1990.

(4)الموسوعة الفلسطينية، مجلد 1، ص 972.

الفصل الرابع: الحياة الاقتصادية

(زراعة – صناعة – تجارة – سياحة)

الزراعة

كانت الزراعة أيام حكم الانتداب البريطاني نشطة، فالعمالة كانت متوفرة في العقد الأول من حكم بريطانيا لفلسطين. الفلاح يعمل في أرضه، وإنتاجه يباع في الأسواق، ويحصل على المال لشراء حاجاته من ثياب وسكر وأرز وقهوة، إلى جانب الكبريت ووقود الكيروسين. وبالمقابل، يبيع الفلاح غلات أرضه من قمح وشعير وعدس وذرة وزيتون، إلى جانب ما أنتجه من ألبان (جبن، زبدة، سمن) ومن الدواجن (الفراخ والبيض). ومن الأغنام والماعز الكثير. يزرع الأرض بالحبوب في أواخر الخريف، ويحصد ما زرع في أواخر أيار، ويجمع الحبوب بعد درسها في أكياس من القنب، ويحفظ قسماً منها في بيته والباقي يطرحه في السوق للبيع. وكذلك الحال للبقول من (عدس وفول وحمص وسمسم وكرسنة وغيرها). وكان الفلاح في بحبوحة من العيش الكريم.

وفي العقدين الأخيرين من حكم الانتداب لفلسطين، تغيرت الأحوال لصالح الصهاينة لأسباب أوجزها:

1) **محاربة الفلاح في أرضه** :إذ سُنت قوانين لتحويلها إلى اليهود، منها أن كل أرض لم تزرع خلال سنتين تُصادر ثم تُحول إلى اليهود، أو أن صاحب الأرض لم يفلح أرضه خلال سنتين تُصادر لصالح المستوطنين اليهود، وكذلك الأراضي التي لم تُدفع عنها الضرائب والرسوم.
2) **إغراق الأسواق بالحبوب المستوردة** :بأسعار تقل عن الأسعار السابقة دون حماية المنتج الفلسطيني، مما أفقر الفلاح أو مالك الأرض العربي.
3) **جلب العمال الفلسطينيين العرب من مزارعهم** :ليعملوا في بناء الطرق والموانئ والمعسكرات للجيش البريطاني الذي قُدر عدده بـ80 ألف جندي في كل البلاد وعرضها. وقد باتت فلسطين في ذلك الوقت، مثلها مثل دول الخليج هذه الأيام، بحاجة إلى الأيدي العاملة والوظائف المتنوعة.
4) **إقامة المؤسسات والدوائر الحكومية** :من مراكز للبوليس ودور للحكم، وسمحت للصهيونية بإقامة دوائرهم الخاصة وجمعياتهم ومؤسساتهم، حتى باتوا يعيشون في دولة داخل دولة.
5) **كل هذا كان يهدف إلى سلب الأراضي من أصحابها** :وإحلال المهاجرين الصهاينة فيها دون منح الفلسطينيين أي حق من الحقوق، بل كان هدفهم إفقار الشعب وتدميره.

ونحن نرى الآن، وقد مر علينا هذه الأيام مئة عام منذ وعد بلفور في 1917/11/2 حتى اليوم 2017/11/2، ونحن نعاني نظاماً تسلطياً إسرائيلياً من احتلال للأرض، وقتل لكل معارض، ونهب أموال أهل البلاد، وامتلاء السجون، وتهجير الناس بالجملة، واستقبال الأغراب، وتوزيع الغنائم بدون حق أو وخز ضمير، أمام مسمع وحضور الأمم المتحدة التي وظفتها لهم

الدول الاستعمارية والدولة الإمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية. من خطط الاستعمار البريطاني وما خطط له، وجاءت الإمبريالية الأمريكية بخططها الشيطانية لإكمال المشوار في تدمير العرب ودينهم الإسلامي، بمحاربة بعضهم بعضاً، وتوظيف أسلحتهم ضد شعوبهم، وهدم بيوتهم بأيديهم. ليس حباً باليهود، بل كرهاً وحسداً للعرب والإسلام.

لقد قام المجلس المحلي للقرية بتجديد نشاطاته الكثيرة من ترميم وبناء ووضع خطط إسكانية وصناعية جديدة، بالإضافة إلى تسارع ترميم المدارس والمؤسسات، وتم تعويض ما سلبه المحتل من أراضي أصحابها وذلك باستخدام المخابر والأسمدة في مضاعفة الإنتاج، واتباع البناء الشاقولي لتوفير الأرض الزراعية. رغم تحويل أراضٍ إلى المستعمرات المجاورة، وفتح مشاريع للطرق والجسور رغبة في تسهيل المواصلات للمستعمرات ونهب الأراضي العربية المتبقية، فإن أهالي البلدة كسبوا أراضٍ جديدة في المرتفعات عن طريق بناء المصاطب وزرعها بالأشجار المثمرة: تفاح، أجاص، عنب، وزيتون. كما أقاموا فيها بيوتاً بلاستيكية لزراعة الأزهار والخضروات، ومزارع للدواجن، وتربية النحل، وغيرها من المنتوجات المرغوب فيها. وتملك البلدة العديد من المواشي من أغنام وأبقار، تكاد تكون كافية للاستهلاك المحلي، وبعض الألبان يُصدر إلى الأسواق.

لقد تطورت الزراعة عن ذي قبل، فأصبح الدونم يعطي إنتاجاً ضعف ما كان في الماضي، بعد أن باتت الزراعة تعتمد على الخبرة والمخابر والأسمدة والري بالتنقيط، وأصبحت المواد الزراعية تدخل في عصر المكننة، وكذلك للدواجن والألبان، حتى الخضار باتت تعبئتها وحفظها صناعة نموذجية. وكل هذا النشاط متوفر في بلدة الفريديس.

الصناعة

أما الصناعة في الفريديس فقد تحولت من صناعات بسيطة مثل الحدادة في صناعة المحاريث والسكاكين والخناجر والسيوف، إلى آلات تعمل بالوقود والكهرباء والطاقة الشمسية، إلى مطاحن لطحن الحبوب، وآلات للخياطة، وأخرى لحياكة الصوف والكتان والخام والحرير، وصناعة الألبسة بأنواعها، وتصليح المعدات بأنواعها من سيارات وغسالات وأفران ومعدات كهربائية وإلكترونيات وأجهزة اتصالات وأدوات طبخ وفخاريات وزجاجيات وغيرها كثير.

إن موقع الفريديس وقربها من مدينة حيفا جعلها تملك شبكة من المواصلات تربطها بالسهل الساحلي عن طريق الدولي العابر غرباً إلى الداخل بطرق متفرعة معبدة تصل الساحل بالداخل بطرق متعامدة، مروراً بالمستوطنات والمدن والقرى العربية، ومن هناك تتصل بالطرق العربية المحيطة بالبلدة. لقد سهلت الفوالق والصدوع العرضانية في جبال الجليل والكرمل، وما أحدثته في طبيعة الأرض من فجوات للأودية والأنهار، في تعميق مجاريها وتوسيعها لتمر بها القوافل التجارية والجيوش الجرارة عبر آلاف القرون. ولا تزال المواصلات تلعب دوراً مهماً في حياة الناس وسعادتهم في شتى المجالات، وسبب وجودها على الشارع الرئيسي في مركز البلدة. وتحتل المحلات التجارية والمطاعم ومحلات الخدمات على طول الطريق العابر من حيفا إلى يافا، وتزداد حركة البيع والشراء وتزدحم الطرق والأسواق بالمارة، فتجد هذه البقعة من البلدة نابضة بالحيوية والنشاط البشري حقاً.

يقدر عدد ورشات العمل في البلدة بأكثر من 29 محلاً وورشة عمل ومصنعاً، تستخدم 85 عاملاً، غالبيتهم من الذكور، منها كالملاحم التي توزع اللحوم، وتصليح السيارات، والخدمات الأخرى للعديد من القرى والمدن، وإنتاج مواد البناء، والمخابز الكبرى. وتملك الفريديس بعض معاصر الزيتون، والتي توفر خدمات شتى لسكان البلدة والقرى المجاورة في مواسم قطف الزيتون، حيث يتم قطف الزيتون من مئات الدونمات وتحويله للعصر بمعاصرها.

وتأخذ صناعات مواد البناء الحيز الأكبر من قطاع الصناعة في البلدة. وهناك مصانع تقليدية كحرفتي الكلس والفحم، اللتين وفر الله لهذه البلدة كل مقوماتها من حجر وشجر. لذلك وجدت صناعة الكلس من جمع الحجارة ووضعها في حفرة واسعة بشكل قبة، ثم وضع الأخشاب بداخلها وإيقاد النار فيها، فيحترق الحجر وتبقى النار مشتعلة والصخر يزداد حرارة، ثم تُطمر قبة الحجر بالتراب. وفي اليوم الثاني، وبعد ذهاب الدخان، يُزاح التراب عن سطح الحجارة ويصبح الحجر جاهزاً للتصنيع. ثم تُعبأ الحجارة بأكياس وهي حية، وتوضع في مخازن جافة بعيدة عن الرطوبة. وعند بيعها، يُحذر استخدامها بدون وضعها في برميل فيه ماء حتى يخفف الماء من حرارتها التي تبلغ درجة الغليان عند وضعها، ثم بعدها تُنقل ويُجفف الكلس للاستعمال.

أما الفحم، فيُجمع من أركان الحرش ويُقطع، ثم يوضع في حفرة واسعة ويُترك له فجوة تُوقد في داخلها النار، فيشتعل الخشب وتدب النار فيه. وعندما يرى العامل أن النار نالت القبة من جميع أركانها، يطمرها بالتراب أيضاً، وتبقى النار تعمل ببطء حتى تخبو النار وينقطع الدخان، عندها يكون الفحم قد أصبح جاهزاً. وفي اليوم الثاني، يُزاح التراب ويُجمع الفحم ويُعبأ في أكياس من القنب، ويؤخذ لخزنه في مناطق جافة بعيدة عن الرطوبة، ونقله إلى الأسواق لبيعه هناك. وكم كانت المكالس ومصانع الفحم كثيرة وشائعة. ولا تزال هناك مصانع لتعليب المخللات ومصانع الحليب والألبان.

ومما ساعد على نمو اقتصاد البلدة هو سهولة المواصلات، وكثرة المناطق السكنية والمستعمرات المحيطة بها، وشبكة المواصلات القريبة منها والمرتبطة بالداخل بأكثر من ممر، وتوفر الأيدي العاملة المدربة والخبيرة في البناء وقطع الصخور وجودة تصنيعه وحسن توظيفه وزخرفته ورونق أشكاله، حتى بات الحجارون في البلدة يشار إليهم بالبنان. وقد يمثل العاملون في البناء 35% من عمال البلدة. وتأتي مهنة تصليح السيارات والحافلات وتحتل الدرجة الثانية 20% من العاملين. ومهنة الحدادة والألمنيوم والغزل والنسيج والحياكة والألبان والوظائف الصحية منها والخدمية، ومما تبقى 6% يبقى للزراعة.

السياحة

وقد أقيمت في البلدة حديثاً مكاتب سياحية لجذب السياح إليها، وذلك لموقعها، وحسن جوها، وجودة مناظر الأحراش حولها، ووفرة المياه والينابيع، مما يساعد في تأمين المرافق العامة وتوظيفها للسياحة حتى تستقطب السياح لها. وإن المواصلات باتت سهلة، وينقصها الكادر المدرب لهذه المهنة والمؤسسات الضرورية لإقامتها حتى تدخل البلدة مورد السياحة وما تقدمه من خيرات لأهل البلدة.

وهناك مشروع مربح لأهل البلدة والممولين منهم بالتحديد، وهو بناء مشفى عصري متخصص يكون جاذباً للمرضى الأبعدين منهم والقريبين، ويكون مفخرة ورفعة لسمعتها وراحة لأهلها. وعلى المثقفين أن يتمسوا بحماستهم وغيرتهم لإقامة هذا الكنز العظيم الذي يعم الخير منه لدى الجميع.

الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية في الفريديس

(الأمثال، تقويم الطقس، التفاؤل والتشاؤم)

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية، وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس الطب الشعبي وعلاجه، والأمثلة كثيرة.

- **في النباتات والمعتقدات**: تروي عجائز القرى الإسلامية عن (الدالية) أن الأسد سقاها، ثم سقاها الطاووس، فالقرد، فالخنزير، وعندئذ صار من يشرب من عصيرها شرساً كالأسد، متكبراً مثل الطاووس، ثرثاراً كالقرد، أو نجساً كالخنزير. وابن آوى حيوان محتال يبلغ مبتغاه في المأثور الشعبي بذكائه وحيلته.
  - **الثعبان**: أنجس الحيوانات إطلاقاً في المعتقدات الشعبية، وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة. ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة. وتحرم المعتقدات الشعبية قتل السحلية، فإذا قتلها أحد ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل.
  - **الحرباء** :غير محبوبة لأنها متلونة مثل المنافق. وأخبث الحشرات "أم أربعة وأربعين"، إذ يُضرب بها المثل بالمكر والخبث.
  - **شجرة الرمان** :المباركة، ولها سلطان على الأرواح الشريرة، وكثيراً ما تُجمع براعمها وتُنظم في قلادة تُعلق على صدور الأطفال.
  - **شجرة الزيتون** :شجرة مبجلة موقرة في فلسطين، لأنهم يعتقدون أن ولياً يسكنها. ويروى عن قريتي عاقر والنفاني أن عدداً من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس، وتُسمع موسيقى غير مألوفة، وإذا هبت الريح من حولها سُمعت أصوات تردد "الله الله."

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي:

- يقولون: "درهم وقاية خير من قنطار علاج."
- "عَصِّب إصبعك مليح، لا يعمل ولا يتقيح."
- "إن وجعك رأسك أكرمه، وإن وجعك بطنك أحرمه."
- "كل من الكافر، ولا تأكل مع طويل الأظافر."

إن الطب الشعبي يلجأ للعلاج، وكانوا يعتمدون على ذوي الخبرة من الناس، وأدوات التشطيب لإخراج الدم الفاسد: كاسات الهواء، وفصد الدم من الوريد، أو مسمار الكي. والقصب البري يُجبر الكسور، وكذلك مزج الأعشاب كدواء.

- **للبثور** :يُستخدم زيت السيرج (زيت السمسم)، والقطران، والكبريت، وزيت الزيتون، والحناء المجبولة بالماء والطحينة.
- **يعالجون السعال** :بنبات البابونج.
- **لإدرار البول** :يغلون الشعير والبقدونس.
- **للرشح** :يدهنون الصدر بالزيت الحامي، ويُسقى المريض البابونج والزوفاء.
- **للإسهال** :يُسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل.
- **للإمساك** :ينقعون بذر الخلة في الماء ويشربونه.

أما العلاج الديني:

- **طاسة الرعبة** :وهو إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم، مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، منقوش عليه سورة من القرآن على الغالب، آية الكرسي أو المعوذات. ويوضع فيه ماء غير معرض للشمس، ويُسقى المرعوب أو المريض. وفي بعض الكاسات يُنقش عليها: "بإذن الله تشفي هذه الكأس من السموم". وبعض الكاسات توحي بالأبراج السماوية، لأن لكل إنسان برج حسب مولده، وأحياناً لا يعرف أي برج ينتمي إليه، لذلك فإن الشرب من الطاسة يضمن المرء لأي برج ينتمي. وعلى ذكر الأبراج، فإنها تختلف في ميقاتها حسب الأشهر الشمسية والقمرية، وأعتقد أن الناس هذه الأيام يأخذون بأسماء الأشهر الشمسية.

وإني أسهل للقارئ حفظ أسماء الأبراج القمرية ببيتي الشعر:

حَمَلْ ثَوْرٌ جَوْزَةٌ سَرَطَانُ وَرَعَى اللَّيْثَ سُنْبُلَ المِيزَانُ
وَزَنُوا عَقْرَباً وَقَوْساً بِجَدْيٍ وَمِنَ الدَّلْوِ مَشْرَبُ الحِيتَانِ

ومن الأمثال في الطعام:

يعتقد الفلسطينيون بأن الطعام قسمة ونصيب، وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له. لذلك هناك أقوال شائعة كثيرة في الطعام منها: "اعزم والزم، والأكل نصيب". وأحياناً يتأخر شخص عن الوليمة فيأكل شخص آخر طعامه وهو غير مدعو، ويقال عندها: "ما حدا يوكل نصيب حدا". وإذا قيل للمدعو "زيد"، فيجيب: "أكلت اللي فيه نصيب". والأمثلة حول الطعام كثيرة، منها على سبيل الإيجاز:

- "يُلعن الشارب قبل الطالب" (أدب الانتظار).
- "غِبّ غِبّ الجمال، وقم أول الرجال."
- "اطعم الفم تستحي العين."
- "إن غاب عنك السمن، عليك بالزيت" (للقناعة بالموجود).
- "الله يطعم الحمص للي مالوش سنان."

- "طلبتها المشتهية، وأكلتها المستحية."
- "اللي بدو يوكل عسل، يصبر على قرص النحل."
- "اللي عنده قمح، يقرضوه طحين."

في التقويم الشعبي (الجيد منه والمكروه من الحيوان)

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف والشتاء. فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين، ويبدأ في 14 أيلول وهو عيد الصليب، لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد. وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون "شراقي الصليب" أو "شراقي الخريف". وهذه الرياح هي الرياح الفاصلة الصيف والشتاء، وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول، لذلك يطلق المثل القائل: "أيلول طرفه مبلول". وإذا هطلت الأمطار يقولون: (الموسم بدري). إذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس، فسرعان ما تتلاشى. وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس، فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام. ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه. ويقولون في سنة الشراقي: (بتدور وما بتلاقي) أي لا خير فيها. ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً ويسمونها (شتوة المساطيح) لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزبيب، إذ ينشرونه حتى يجف. ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء، كما يقولون: الأولى والثانية والثالثة (يوم فتوح)، ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم انبوح)، ويوم السابع والثامن والتاسع (يوم منوح) أي شتاء جديد في تفسير البعض.. وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس: (ما لك صيفيات بعد الصليبيات). ويقولون: (إن أبرقت على الصليب ما بتغيب). وفي شمال فلسطين في الجليل يقولون عند البرق بأنه علامة المطر: (عند البرق الدنيا بتخبط). وأما إذا أبرقت وأرعدت: (زواريبها طرطقت). ويقولون عن المحاصيل: (متى صلبت خربت) أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع. ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم، فيقولون: (يودع العنب والتين السنة).

وفي أكتوبر (تشرين أول) تجف مياه الآبار، فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء. ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة: (في عيد لد شد يا فلاح شد، ما بقي للشتاء فعد). أما أشهر كوانين (هن فحول الشتاء والأرض)، الفحول رمز الإخصاب، فيقولون: (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل). ويوصف كانون بأنه "فحل السنة" أو "محللها".

أما شهر شباط فهو غير مستقر: (شباط الخباط ما عليه رباط). أما "المستقدريات" فإنها جاءت في قصة العجوز وغنامتها، والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل مطر، فسمع شباط العجوز تقول: (راح شباط ودسينا في عجزه المخباط). فغضب شباط وقال لأخيه آذار: "أقرضني ثلاثة أيام ومن عندي أربعة، حتى نجعل العجوز تحرق دولابها"، أي لم يبق للعجوز من الوقود تحرقه من شدة البرد سوى دولابها الذي تغزل منه لتعتاش. أما "أسعد ذابح" فإن قصته تقوم على: أربعة شبان يحملون بضاعتهم وتحملها أربعة جمال، وتعرضوا في طريقهم لموجة برد قاسية فمات ثلاثة وبقي الرابع. فقام يذبح ناقته وسحب ما في جوفها ونام داخلها ونجى، لذلك يقولون "أسعد ذابح."

أما الربيع فهو فصل العشب، يبقى أسيراً (المربعينية). و"خمسينات" الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار، وتقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام.

الألعاب الشعبية

ومن الألعاب التي يعتاد القرويون ممارستها، وما أكثرها، منها مثل:

1) **لعبة الطابة:** تصنع من القماش وتحشى بالقطن والصوف أو بقماش ممزق وتخاط. ثم يأخذها الأولاد، ويحمل كل منهم عصا طويلة ويتنافسوا على سحب الكرة إلى المرمى، وهي حفرة يدخل فيها الكرة ليفوز.
2) **لعبة الغميضة:** تتم القرعة على من يبدأ اللعب، ويعصب عينيه، وله الخيار بأن يعثر على غيره من اللاعبين ويمسك به. (لعبة الغمامة).
3) **لعبة العصا والعصاة:** المثبتة في ثقب حجر ثقيل، ومن يستطيع ضرب العصا المثبتة فيكسرها أو يزحزح الحجر المثبتة به يكون الفائز.
4) **لعبة البرش (الرواح):** وهي لعبة متطورة. تؤخذ الطابة المطاطية بيد اللاعب، واللاعب الثاني بيده عصا مفلطحة النهاية. يقذف حامل الكرة للأعلى فيضربها الآخر فتطير الكرة في الجو، وعليه الركض ليمسك بها. وهذه كانت لعبة الكبار. ولعبة القفز العرضاني، وهي حفرة مستطيلة فيها رمل أو تراب، يتنافس الأولاد بالقفز، ومن يزداد طولاً في قفزته يكون الفائز.
5) **مسابقات الركض:** وهي السائدة بين الألعاب، ومن يفوز في قطع المسافات يكون الفائز.
6) **القفز العالي:** يمد حبل بين عمودين بارتفاع من السنتيمترات. فإن كان الولد عمره ست سنوات يثبت الحبل على ارتفاع 30 سم، وإن كان عمره فوق ذلك يرتفع الحبل حسب الطلب. أما في الوقت الحالي فإن اللعبة تطورت إلى درجة كبيرة من التقنيات.
7) **لعبة المِنَّة:** وهي عامة يلعبها الأولاد طيلة العام. ولعبها يتم كالآتي: يؤخذ عود من غصن شجرة طوله طول مسطرة (20-30 سم) يوضع على حجر يشكل مائلاً، ثلثه بارز للأعلى. ويقوم اللاعب ويضرب الطرف البارز من العود بعصاه، فيطير العود في الهواء ويبعده عن الفريق المنافس. وإذا التقطه هذا الفريق صارت اللعبة لهم.
8) **لعبة المنقلة:** يقتصر لعبها على اثنين من اللاعبين. وهي لوحة من الخشب يتراوح طولها بين 40-50 سم، محفورة بأربع عشرة حفرة مقسومة إلى قسمين، كل صف سبع حفر. ويوضع في كل حفرة 7 حبات من عجم الزيتون أو حجر رسوبي بحجم حبة الفول. ويبدأ اللعب عادةً الكبير في السن، إذ يأخذ اللاعب الحبات السبع من حفرة الحبات في الصف الأول، ويوزعها على الحفر الخاصة بصفه مبتدئاً من اليسار إلى اليمين. وعندما ينتهي، يبدأ اللاعب الثاني في اختيار الحبات التي تكون في الحفرة التي من جهته، ويوزعها هو الآخر ويضع في كل حفرة حبة واحدة كما فعل اللاعب السابق، وهكذا. عندما يوزع الحبات، إذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي حبة واحدة، فيربحها، أي يأخذ الحبتين. وإذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي 3 حبات، أيضاً يربح أربع حبات. أما إذا كان أكثر من جوز (زوج) أو أربع فلا يربح. ويستمر اللعب حتى لا يبقى أية حبة في الحفرة، وعندها ينتهي اللعب.

وفي الأعياد يذهب الأطفال إلى المراجيح بأنواعها، ويشاهدون مراكز عرض الصور عن طريق "صندوق العجائب" أو "الكراكوزاتي" أو "الحاوي" (لاعب السحر) أو الذهاب إلى المدينة للتدرب على النيشان ببارود الخردق، أو استئجار الدراجات وغيرها من الألعاب المتوفرة.

أما هذه الأيام، فإن ألعاب الفيديو المتعددة والجوال المتنوع الأهداف يشغل الناس كبيرهم وصغيرهم، ويأخذ الوقت الكبير من نشاطاتهم، ويحولهم إلى عوالم أخرى تستنفذ أوقاتهم وتستهلك نفقاتهم وتلهيهم عن الأكل والشرب. وفي كثير من الأحيان تضعف أجسامهم التي حرمت من اللعب والمرح والرياضة، وتلهيهم في كثير من المرات عن تأدية واجباتهم المدرسية، حتى كاد (الآيفون) يخدر عقولهم وأحاسيسهم، رغم المنافع التي يكتسبها العاقلون من المستخدمين.

وضع المرأة في الماضي والحاضر:

في الماضي، كانت المرأة مسؤولة عن متطلبات بيت الأسرة من طعام. فهي تعد رغيف الخبز عن طريق عجن الطحين من قمح وذرة، وخبزه على الصاج أو الطابون والتنور. إذ تُعد الموقد فيه الخشب ليسخن الصاج أو الغاز والكيروسين للتنور والطابون، ويُستخدم "الجفت" وهو مخلفات عصر الزيتون والمخلوط مع رماد يحيط بقُمع الطابون المصنوع من الفخار المشوي. يتم فيه الخبيز وصواني اللحمة وطبخات متنوعة. والطابون بحاجة للوقود طيلة الأيام، بينما ألغيت هذه الظاهرة في أيامنا، وصار الخبز يتم في أفران خاصة تعمل على الغاز بكميات كبيرة وأوانٍ ضخمة، إنتاجها يذهب إلى المحلات التجارية لبيعه للناس.

أما طعام الأسرة، فربة البيت تقوم بإعداده من حبوب وبقول وخضار ولحوم. وفي كثير من الأحيان كانت هذه المواد متوفرة في البيت نفسه، فالعدس والحمص والفول والطحين متوفر في البيت مخزون في خوابي وجرار وأكياس قنب، واللحم والبيض متوفر أيضاً بوجود الدواجن والحمام، والزيوت والزبدة والسمن كله متوفر مخزون. وتقوم ربة البيت بتأمين الأكل بجهدها الخاص، كما تقوم بإطعام الدواجن وتأمين الملجأ لها وتنظيف أوكارها. وكانت المرأة تجمع بيض الدجاج وتأخذ حاجتها، والباقي تبيعه لتاجر البيض الجوال، كما تبيع ما تريد من فراريج وحمام زغاليل، لتوفر المال اللازم لشراء القماش والملبوسات.

كانت ربة البيت في الماضي تعيش مع الشقاء فعلاً، ومع ذلك كانت راضية. والنشيطة منهن، عند فراغها، كانت تقوم بصناعة أوعية القش من أدوات تصنعها من سيقان القمح والشعير، كأطباق القش على أنواعها الصغير والكبير، إلى جانب القبعة وهي إناء مصنوع من القش يتسع لعدة أرطال من الحبوب والبقول، ثم الترويجة وهو إناء من القش أيضاً توضع فيه خميرة العجنة القادمة، وهناك المشكول وهو إناء مثل القبعة وله يد، وهو بمثابة حقائب النساء في ذلك الزمان. وبعض النساء كنت أراهن يصنعن الصابون من الزيت العكر مع الصودا، إلى جانب صناعة المربيات من دبس الخروب والرب ودبس العنب، ومربيات السفرجل، وتجفيف البامية والملوخية والكوسا والباذنجان والزعتر وغيرها كثير.

وكانت المرأة في الماضي القريب تعمل في وقت فراغها بشغل الإبرة لصناعة الكنزات وتطريز الثياب. وقد تطورت هذه الصناعة إلى حرف تدر على أصحابها المال الوفير، مما زاد الإقبال على اقتناء هذه المصنوعات، وباتت تمثل الفولكلور الفلسطيني حقاً، وتطورت إلى شركات تُصدر إنتاجها للخارج. واشتهرت رام الله والبيرة وبيت لحم بهذه الصناعات عالمياً،

ورفعت من شأن أبناء وبنات فلسطين، وبشكل خاص النماذج الخشبية المحفورة بأنواعها وتطعيمها بالصدف المختلف الأحجام والألوان.

لقد جاء عصر المرأة الحديث ليُزيح عنها التعب والشقاء، وتنعم بما قدمه العلم لها من عون لتشارك الرجل كسب العيش للأولاد والأحفاد.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، مج4، ص 662، د. فكتور سحاب.
(2) نوتات باسم المساكن، أملاه علينا الدكتور أنور النعمان في السنة الثانية، جغرافيا.
(3) الموسوعة الفلسطينية، مج4، د. فكتور سحاب.
(4) الفولكلور الفلسطيني، ج2، نمر سرحان.
(5) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

الفصل السادس: الفولكلور الفلسطيني في بلدة الفريديس

(الأغاني والغناء - الزواج - الولادة والألعاب)

الغناء: أنواعه ومعانيه

الغناء هو صناعة في أداء الألحان المصحوبة بالكلام الدال على المعاني. وتشترك الأمم في العادة على اختلاف فطرتها وتطورها الحضاري، والظاهرة الطبيعية أن حنجرة الإنسان تتكون من أوتار متفاوتة. والفرد العربي غناؤه بطريقة فطرية لا شعورية تجعل أوتار صوته تهتز على مداها الكامل، فيصدر الصوت وكأنه خارج من الصدر، ويُلقب مثل هذا الصوت تقنياً بالصوت الصدري. أما الغربيون فيختلفون، فهم يهتزون بطريقة مدروسة، اهتزاز بأجزاء من أوتار الحنجرة فقط مع ارتخاء في الحلق وتنفس من الأنف، ويعرف هذا الصوت بصوت الرأس.

وقد حدد خبراء الفن أنواع الأغاني العربية بما يلي:

1) **التحنين** :أغاني للحجاج.
2) **الندب** :تقوم به نساء محترفات، يعبر عن الحزن.
3) **المطوعة** :أغنية الزفاف للمرأة البدوية.
4) **القصيدة** :ذات القافية الواحدة في الطرفين الثالث والرابع.
5) **الموال** :على نوعين (موال مصري وموال بغدادي).
6) **العتابا** :اعتبرها موالاً ذا أربعة سطور.
7) **الهلابا** :شطران ينتهيان بكلمة هلابا، كذلك مطالع المعنى والقريدي.
8) **الجعيدي** :نسبة لشاعر مصري معروف بجعيد.
9) **الزجل** :ومن مميزاته إعطاء الكلمة الأخيرة في الشعر عنوانه، مثل: الميجانا، موليا، زينه، هويدلي.
10) **الترويد** :تعني في الأعراس، وعند البدو، وعند حلب المواشي.
11) **الحداء** :غناء أثناء رعي الإبل أو في القافلة.
12) **أهلالا** :وتُغنى في الكروم، كما تشمل الشوباش ثم الزغردة، وتُقال (إيه) في شمال فلسطين و(آآيها) في جنوبها(1) .

ومنها: اللبنانية أو العراقية، زريف الطول، مرمر زماني... وغيرها. ومن العراقية: الموال البغدادي والميجانا. ومن البدوية، وإن أكثرها انتشاراً من الأغاني في كل قرى فلسطين هي "الدلعونا"، وتأتي على طريقتين في الأداء، يلتزم بأحدها عازف الناي أو المجوز أو الربابة المنفرد.

أما فيما يتعلق بالمغني، فلا بد أن يكون ذا موهبة موسيقية وحس مرهف وقدرة على الارتجال لحناً وتزامناً. وبالنظر إلى عدم وجود مكبرات الصوت قديماً، كان المفروض أن يكون المغني صوته عالياً جهورياً قوياً. ومن مؤهلات المغني أيضاً أن

يكون ذا ذاكرة قوية يحفظ الكثير من الأغاني والأشعار. وفي الأعراس، عادةً ما يبرز إلى الساحة شاعران للمناظرة والتحدي حول موضوع معين مثل: الفلاحة والمدنية، والبيضة والسمرة، والعلم والمال، والكرم والبخل، والسيف والقلم، وغيرها. والكثير منها ما يحدث في "السحجة."

وقد تكون الخلفيات الاجتماعية للأغنية الشعبية في ظروف المجتمع وعاداته وتقاليده، من البداوة إلى الزراعة وحياة المدن، إذ تبين العادات التي تركز على الأسرة كوحدة تقليدية. فالأسرة تعتز بأمجادها، وتحاول دوماً أن تحتكر المكانة الاجتماعية في مجتمعها، كما أنها تعتز بصلاتها الدموية، ثم تماسكها الوحيد ضمن إطارها: "أنا وابن عمي على الغريب". والزواج بنظرهم هو اتحاد بين أسرتين أكثر مما هو اتحاد الزوجين. وتحتل عصبيات الأقارب القائمة على تفضيل ابن العم حتى على ابن الخالة، وما ينتج عنه من مشاكل وإضاعة للفرص المفضلة للعروسين، فيما ترك لهما حق الاختيار.

ابن العم يا شعر على ظهري إن حال الموت لا رده على عمري
ابن العم يا نوبي علينا إن حال الموت لا رده بأيدينا

وفي حال زوج الأب ابنته من غير ابن عمها طمعاً منه بمهر أكبر، فتقول الأغنية:

يا ابن العم يا كومة تراب يا إبن العم أخذوهم الغراب
يا ابن العم رميتك للضبوع بنات العم أخذتهم السبوعة

والفلاح يشارك جاره في السراء والضراء، متمنياً الخير لجاره: "والجار أولى بالشفعة، الجار ولو جار"، وقيل: "من أدرى بحالك؟ والجواب: ربك وجارك". وتغني النسوة عادة فيزغردن ويقلن:

ها هي يا جار المجاورني
ها هي يا جار الرضى ما انت جار خواني
ها هي ما انت طلاع ع حيطان جاراتك

وعصبية الجاه والمركز وآثارها الاجتماعية، إذ أن للطبقة أثرها في الفرد الفلسطيني. وأغلب الأسر الفلسطينية كانت في الماضي تعيش على هامش الحياة الزراعية، وهناك طبقات من الأثرياء والتجار وملاكي الأراضي والعقارات. وكثيراً ما تشير الأغاني الشعبية إلى هذه الفروق، فيتباهى أصحاب الجاه بما لهم من نفوذ، كما تتفاخر نساؤهن بلبسهن الثمين، ويُقال:

يا بو العروس نلبس ملوكي لفت عليك الأمارة والدراويش
ريدونا ريدونا نسايب لا تزعلونا
عادتنا نلبس شنابر ما تناسب إلا الأكابر
ردونا ردونا نسايب لا تزعلونا

إن أغلب الأغاني الشعبية في منطقة المثلث متشابهة ومتكاملة، وكذلك مفردات الفولكلور الفلسطيني، لأن الجذور واحدة والمنطقة مشتركة والعادات متكاملة كمّاً ونوعاً. وعن الغربة الطويلة يقولون:

وأغمس ريشتي في قلب قلبي وأدمي وجه مغتصبي بحد سكيني
وإن كسر الردى ظهري وضعت مكانه صوان حطين

وتأكيداً على الهوية الفلسطينية، يدعو معين بسيسو إلى الحذر:

يا جلدنا حذار يا وجهنا حذار
يا وجهاً الذي أراه كلما استدار وكلما أوشك أن يصير بدراً
أطلقوا عليه النار

وصورة الوطن لسميح القاسم وهي متعددة، إحداها:

قامرت في ملهى السنين خسرت جوهرتي الفريدة في مزاد الآخرين
وبكيت في أسف وأخفيت دموعي ودفنت في صمت أزهاري
ورجعت للبيت الحزين أبكي على جدرانه وأبوح بالسر المعين

ومن المواويل:

على فراق الولف قلبي لواني صرت مصدوم واتغيرت ألواني
يا ريتني عقد والصايغ لواني مخبأ بين نهديك والثياب

ومن المواويل الموزونة وارتباطه بالبحر الوافر:

يا طولك طول الزان لو مال يا شعرك حيد والجدال لو مال
وبوكي لا قيل أرضاً ولا مال أكيف الرأي عندك والجواب

المواويل وما يتعلق بالأرض:

حراث يا عمي رمي على البقر رمي
وكم مليحة تقول للنذل عمي
حراث يا خالي لا لي على البقر لا لي
وكم مليحة تقول للنذل خالي

أما مخاطبة المنجل:

منجلي يا منجلاه راح للصايغ حلاه
منجلي يا بو الخرافيش طاح بالزرع يطاحن
منجلي يا بو رنه وأنا جبته من غزة

وعن قطف الزيتون:

يا زيتون إقلب ليمون إقلب مسخن في الطابون
يا زيتونة بو مري هِرّ لي بلح هِرّ لي
يا زيتونة بو عرموش هِرّ لي ذهب وقروش

ومن غناء الرعاة التي تتحدث عن الراعي الذي ترك مهنته ثم عاد بعد وقت طويل:

طلبنا الغنم من قرنة الزنار عرفت الغنم وأغشمت هالرعيان
طلبنا الغنم من قرنه الوادي عرفت الغنم وأغشمت الراعي

أما دعاء طلب المطر:

يا رب ما هو بطر بنطلب منك
يا رب ما هو غية بنطلب منك ميه
يا رب مطر مطر حتى نسقي هالبقر
يا رب رشاش رشاش حتى نسقي هالجحاش

وغناء البناء والبنائين:

صلى الله عالزين الهادي ومعانا مدوا الأيادي

ثم يغني أصحاب البيت لمعلم البناء:

أعطوا المعلم عقاده ما طلب أعطوه عكا مع حلب
يا معلم مبروكة الدار بيكبروا ويسكنوا فيها الصغار

أما علاقة الفلسطيني بالبحر:

فلان نزل البحر وبيده كيله
يا رب يرجع لها العيله

فلان نزل البحر وبيده بريق
يا رب يرجع سالم من هالطريق
فلان نزل البحر لولح محرمته
يا رب يرجع سالم لحرمته

وينشد الصيادون سواء على الشاطئ أو في عرض البحر:

واجي طولك على طولي بلا قيس
وبحر حايط الدنيا بلا قيس
وحق مين خلق الدنيا بلا قيس قلبي ما هوى غيرك حدا

بالنسبة للدلعونا :تمتاز بأوزان خاصة، وقد عرفت الدلعونا في جميع أنحاء فلسطين. ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا نسم يا هوا الغرب الحنونا
والله إن متت ياما اقبروني بأرض بلادي بفي الزيتونا

وزريف الطول :يقوم الشعر على نفس نمط الدلعونا على مجزوء بحر الرمل.

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك يللي رابي بدلال أمك وأبوك
يومن جانا الخبر إنهم خطبوك شعر راسي شاب وقلبي انكسر

أبو الزلف الجفرا:

وهي أغنيات الدبكة، إذ تلتزم هذه الأغنيات في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع ألف ممدودة.

عالعين يا بو الزلف عين الزلف لينا
قلبي جرحه الهوا وين الدوا ليها
جفرا ويا هالربع عا البير نشالي
يامزنرا بالطقم فوق الطقم سالي

الشهيرة للعريس (عريسنا عنترعبس) :يرددها الرجال في موكب الزفة أثناء مسيرتهم:

عريسنا عنتر عبس عنتر عبس عريسنا
عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا
عريسنا ابن الكرام ابن الكرام عريسنا

واللي يعادينا نذبحه ونقطعه بسيوفنا

وللزجل أنواع شائعة في الشعر الشعبي العربي:

بدنا نحكي بدنا نقول ما بدنا حكي وطبول
بدنا نحرر بلدنا
هذا الكلام المعقول

وكما في الزجل، فإن المعنى يؤدى من قبل مغن أو اثنين، ويسيطر على الغناء جو عاطفي حزين.

قال المثل عمر الأسى ما بنتسى شط بحر الفن مركبنا رسا
يللي بلأمس جنحه انكسر حاول الفرار أو ريشه كسا

والعتابا :وهي الأغنية الشعبية المفضلة في بلاد الشام، وتحتل المرتبة الأولى بين ألوان الغناء الشعبي في فلسطين. ويمكن أن تُغنى العتابا بدون موسيقى أو برفقة الناي (النشابة). وهذا النوع أكثر شيوعاً في الجليل في الغزل وقيمة المكان، يقول:

نزل دمعي على خدي من الرأس على اللي زمَل الجرة على الراس انسوا ديرة بعلبك مع الرأس
وحنا كروم زحلة والعنب

يتمنى الشاعر عودة كل غريب إلى بيته وبلده، عله يجتمع بمن يهوى:

زرعت الهَم في قلبي ع بيته يارب ترجع الغائب ع بيته
بأنا شاعر وبيدور ع بتها بالسطرين غاب
سقا الله يوم كنتم لنا قراب نشرب منابعكم والقراب
ما تقولوا لنا أهل وقراب لهم أحباب بيوفوق السحاب

ويوم الأرض:

ليوم الأرض يا هالعرب عدوني صهيون عاسخنين عدو
سبع شهدا بالبلدين عدو وقنابلهم بعرابة لها عدو

وعن تشريد شعب فلسطين ولجوئه للمخيمات والكهوف بقوله:

شعبنا اللي سكن مغر ومخيمات لقى علقات مرات وخيمات
إذا استشهد أخو من الأسرة ومات
قصى فيل:
بنام الليل أحلم في حرمنا ادنا منها انحرمنا

بني صهيون أحرقت حرمنا للعار عاكل العرب

الرقص الشعبي في الفريديس:

مناسبات الرقص الشعبي هي نفسها مناسبات الغناء الشعبي، وتتجلى كما يلي:

1) **الدبكة** :وهي رقصة شعبية تعم بلاد الشام كلها، وهي أنواع: منها الدبكة الشمالية، والطيارة، والعرجاء، والفتوحية، والفرادية (الكرادية)، والسبعاوية، والمثلوثة. وعلى سبيل المثال، فإن الشعراوية تشبه الدبكة الشمالية، وتقتصر على الرجال بسبب عنفها، وهي السائدة في شفاعمرو وقضائها. وتختلف الكرادية عن النموذج العام للدبكة الشمالية بعدم وجود ملوح فيها، وباشتراك النساء فيها بكثرة. والدوائر هي الشكل الذي تتخذه حلقة الراقصين، ويتوسطها عازف الناي. ويفيد أكثر من مرجع أن دبكتي الطيارة والخليلية، تمتازان بالرشاقة والحركات المجهدة، وأنهما تحتاجان إلى مزيد من الانضباط والدقة في الرقص.
2) **السامر** :وهو يمثل الحفلة الشعبية الساهرة التي تقام بمناسبة العرس، ثم صارت كلمة السامر تطلق على ذلك النوع من شعر المواليا الذي يؤدى بطرق جماعية بالتناوب بين فريقين. ويتبنى هذا الرقص (السامر) مناطق جنوب فلسطين، أما في شماله فيُقال له "السحجة". يلازمها المعنى، يلتزم بجناح في السحجة ويغني آخر في الجناح الثاني، وتبدأ المباراة (الأغاني) بإشعار شعبية لها أوزان، يقابله الفريق الآخر بأشعار بنفس الوزن. وعادةً ما تهدف هذه الأغنيات مفاهيم مثل: الكرم والبخل، والشجاعة والخوف، والغنى والفقر...إلخ(1) .

(الأفراح والأتراح: الغناء، الزواج ومراحله والأعراس)

من سلوكيات مختلفة بعض الشيء، تقوم الأم وبناتها بالتفتيش عن الفتاة التي تليق بابنها، ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه. وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم ومؤجل عند المسلمين)، يذهب ثلة من الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً. وتبدأ الخطوات بالخطبة، وتتجلى بعادات وتقاليد الناس في البلدة، أهمها الأفراح:

- **الخطبة** :من المتعارف عليه أن أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف. وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم ير العروس ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها، لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية. وفي بعض الأحيان، يترك الشاب لأهله (أمه وأخواته) البحث عن الفتاة. ويستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم، ثم تُقدم القهوة لرجل وهو وجه الخطبة، فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً، ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها. وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة، بينما تطورت الخطبة هذه الأيام إلى محاضرة تشيد وتمتدح بخصائل العائلة والمجتمع، ويكون الحديث طويلاً حقاً، كما وجدته في عمان مثلاً.

وقد قرأت فيما مضى خطبة عم الرسول صلى الله عليه وسلم (أبو طالب) ليخطب خديجة بنت خويلد بقوله: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي محمداً من لا يوصف به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً ونبلاً ومروءة وأمانة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي". ويتم العطاء، وتُقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات، وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً، وعندها تسمع النساء الموافقة، فتأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات، ويُقدم الشراب. ومن الأغنيات التي تُقال:

ع الزنزلخت ع الزنزلخت ريتك يا حلوة من حظي وبختي
بدك أبادلك ببادل بختي بدك مصاري بدفع مليونا

ثم تُردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر، فيقولون:

على دلعونا يا مدلعنية وصاروا يطلبوا في البنت مية
صاح العزابي يابي منللى مصاري أجيب المزيونة

التحضير للزواج :يدفع الشاب مهر عروسه حسب الاتفاق، ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره. وكثيراً ما كان المهر يُرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب. وقبل حفل الزواج، تُنقل أغراض العروس إلى بيت العريس بواسطة النسوة، إذ يحملنها وهي موضوعة في صناديق وصواني وأطباق وبُقُج، وهن يرددن الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.

حفلات الزواج :تُقام السهرات ويُقال لها "التعليلة"، وذلك مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام، وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة والحناء والزينة. كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات)، ويتدربون على الأغاني والدبكة. ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل، إلى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء.

وفي يوم العرس، تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا، وغالباً ما تكون ذبائح أغنام وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس. ينهمك أهل العريس وأقرباؤهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان، وتُقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء. وعند العصر، تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل، وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف. ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عُرى الصداقة والتعارف بين الناس، وفي كثير من الحالات تُحل مشاكل وتوثق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها بقولهن:

يا محمرة يا مبودرة وألفين حق الكندرة
حلفت يا فلانه ما أطلع إلا الحامولة حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس، يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم يرافقون العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عبس عنتر عبس عريسنا
عريسنا ابن الكرام ابن الكرام عريسنا
عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا
واللي يعادينا نذبحه ونقطعه بسيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة، ويُحلى صدر الحصان بالقلائد والحلي، وأغلبها من الذهب الخالص المزخرف، ويُجمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره، وكذلك الحال حصان العروس. ومن الزغاريد التي تُحيي أرباب الأسرتين وتمجدهم وتشير إلى مكانتهم، وعلى غرار التقاليد العربية (المهاهاة التالية):

إيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينا
إيه ويها ولا تشمت بنا شامت إيه ويها
ويها حنا إن رحلنا جعلناك الدلو
وحنا إن نزلنا جعلنا بيتك الغالي

العتابا :تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية، وتُستخدم للفخر والمديح. وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الظباء الأنسية التي حفلت بها الأغاني، وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة، وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضين بقلبي ناصبات العين ماضين
كشف الطبيب جرحي وقال ما ظن ما ظن يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المائل، والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه، فيقول:

يا طولك طول عود الزان لو مال حير الجدال لو مال

وبوكي لا قبل فضة ولا مال أكيف الرأي عندك والجواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة، وكل منها له معانيه ولحنه، منها **زريف الطول ودلعونا** :ويتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها، ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره، فيقع عليه النبأ وقوع الصاعقة، فيقول:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك يللي رابيه بدلال أمك وأبوك
يومن جانا خبر أنهم خطبوك شعر راسي شاب وظهري انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه، فيقول:

على دلعونا على دلعونا نسم يا هوا الغربي الحنونا

بالله إن متت ياما اقبروني بأرض بلادي بفي الزيتونا

الغزيل :وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر، وتتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة، بينما تختلف قافية الشطر الرابع والخيرة، وتنتهي بالمقطع (با) وهذا ناتج عن عبارة أهلاً.

يا غزيل يا بو الهيبا يا غادي يا معذبا
زرتونا وشرفتونا أهلاً وسهلاً ومرحبا

وفي الأعراس تُقام الدبكات والسحجات، ويأتي الحداؤون (الشعراء) ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم والافتخار والغزل، وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم والقيم. وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال ينشد أغانيه، ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول، ويتنافسان بالأقوال الموزونة بمواقف حيوية معينة، على سبيل المثال السمرة والبيضا، وينتصر الرجال لأي فريق. وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل، وفي حالات كثيرة تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل إلى العراك بين المناصرين للشاعرين. ومن هذه الأغاني:

قالت البيضا:

قالت البيضا اسم الله علينا يا ورد مفتح حوالينا
يللي سافرتوا عودوا الينا لا تطيلوا الجفا تزيد الهموما

السمراء:

قالت السمرا واحنا الهرايس واحنا المحارم بيد العرايس
روحي يا بيضا باللبن ما يص واللي بهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ماخذ السمرا ويش بدك فيها يا رمل البحر تنّو يجليها
في البير الخارب والله ارميهـــــا واحكم عليها حكم فرعونا

أبو الزلف :هي أغاني الدبكة، تلتزم هذه الأغاني في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

عا لعين يا بو الزلف عين الزلف ليا
قلبي جريح الهوا وانتي الدوا ليا
جفرا ويا هالربع عالبير نشالي
وزنرا بالطقم فوق الطقم شالي

ولادة المرأة:

عندما تلد المرأة، تخرج القابلة لإعلان النبأ. فإن كان المولود ذكراً، تُعبر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها.

إيه ويها جابت وقامت إيه ويها وع فراشها ما نامت
إيه ويها ولك الحمد يا رب إيه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر إيه ويها عيش وأكبر يا ذكر
إيه ويها يا عطية ربنا إيه ويها وما نال إلا اللي صبر

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود ذكراً أم أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة:

إيه ويها وقفت حمامتنا إيه ويها وبقلب طاقتنا
إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي إلا بسلامة حبيبتنا

تنويم الطفل :تحاول الأم هز السرير الخشبي في الماضي أو المرجوحة، وتأخذ بالغناء ويُدعى هدهدة:

نامت عيونك وعيون الحق ما نامت
وما ظلت شدة على مخلوق ودامت

ويقولون أيضاً:

هللي له يا حمامة هللي له تينام
وافرشي له الأخضر والوساید وريش النعام

ترقيص الطفل :وترتبط بنمو الطفل، وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافق الأغنية. كالتالي:

ميمته يا ميمته يا ربي تخليه
وتخليه لمويمته وتكحل له عينيه
وإن شاء الله بيكبر وبيحمي هالشياب
ويحمل على جنبه سيف وجراب وشبرية

أغاني الختان :وهي متنوعة وليست هناك أغنية متخصصة، فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة وأغان عامة. غير أن هناك أغان بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طهروا يا شلبي وناولوا لأمه يا دموعه الغالية نزلت على كمّه
ومطهريا مطهر امسح بالشفرة لا توجعلي رياض ابن الإمرا

اللعب مع الغناء :تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل. وعندما يصبح الطفل قادراً على فهم ما يقوم به، يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب، منها مثلاً:

يامنيمسه يا منيمسه يا حبة القريمشة
بعثتني معلمتي أشتري راس البصل
وقع مني وانكسر بوق بوق
يا أم الحلق والدبوس قيمي إيدك يا عروس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي، إذ يحمل الأب طفله على ظهره، وتقوم الأم بلف يديها حول رقبة الأب، فيقول الأب: "أنو فوقي"، ويرد الطفل: "عبد الطوقي". الأب: "شو بدو"، يرد الطفل: "حمص مقلي"، وينزل الأب طفله قائلاً: "طيح نقّي."

أغاني الشتاء :يجتمع الأولاد عند نزول المطر، ويضعون على رؤوسهم أكياساً من الخيش (القنب) لتقيهم من المطر، ويقولون:

شتي يا دنيا شتي على صلعة ستي
ستي جابت صبي سمته عبد النبي
حطته بالطنجرة طلع صحن مجدرة
حطته بالبير طلع راسه كبير

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شتي وزيدي بيتنا حديدي
عمنا عبدالله كسر الجرة
شتي وزيدي على طريق سيدي
سيدي بالمغاره ذبح قطة وفارة
سيدي في البرية بيطبخ لبنية

وهناك غناء بالأعياد:

بكرة العيد بنعيد بنذبح بقرة السيد
والسيد ما لو بقرة بنذبح بنته ها الشقرة

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

يا طيور طايرة يا مراكب سايرة
سلمي على أمي وأبي وقولي جبينة راعية
ترعى غنم ترعى سخول وتقيل تحت الدالية

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف).

ومن الأغاني التي يرددها الأطفال عندما يتأرجحون:

هز التين يا وروار بعده التين ما نور
ما نور إلا الزيتون يا زيتون احمل ليمون

ومن الألعاب التي تر افق الأغاني:

"طاق طاق طاقية، رن رن يا جرس، حول واركب على الفرس."

لعبة الدائرة مع القفز :تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات، يضعن أيديهن فوق أكتاف بعض، ويقفزن معاً قفزات متوازية ويغنين:

إحنا الثلاثة سوا مثل عمود الهوا
وحدة كبيرة وحدة صغيرة
وحدة طويلة وحدة قصيرة
وحدة بترجع لورا

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكوروالإناث:

- **لعب البنات** :لعبة الإكس (الحيز)، والزقطة (القال)، والغماية (الطميمة)، والخويتمة (الخاتم والأصبع)، ونط الحبل، لعبة الخمسات.
- **لعب الذكور** :كسر البيض، البنانير (الدحل)، لعبة الكورة، لعبة المنة، لعبة الغزة (توضع عصا مثبتة في ثقب حجر، ويتبادل الأولاد ضربها كل بعصاه، والذي يكسرها بعصاه يكون الفائز)، لعبة كرة القدم، وسباق الركض، والسحاسيل.
- **الصيد** :كان الكثير من الأولاد يميلون إلى الصيد، حتى كان منهم من يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير مثل: النقيفة، أو بالفخ، بالدبق، بالشبك، بالفخاخ، وجمع الفراخ من أعشاشها. وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية، ويُطلق السهم بواسطة نابض أو شريحة مطاط.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، مج4، د. فكتور سحاب.
(2) الموسوعة الفلسطينية، مج2، د. حسن عليوه.
(3) الفولكلور الفلسطيني، ج2، نمر سرحان.
(4) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

الفصل السابع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي، ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب، وإحلال يهود العالم محلهم. والتقت دعوتهم مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي، وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة، فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم، وهو وعد بلفور (وزير خارجية بريطانيا) بتاريخ (2 أكتوبر 1917)، الذي ينص على منح الصهاينة وطناً قومياً لهم في فلسطين، بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب. وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدساً لدى السلطة البريطانية، وعملت كل المستحيلات في تنفيذه، رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي، من مظاهرات وعنف كانت تجابهها بقسوة ظالمة. وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948، أي ثلاثة عقود، أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته، في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية، وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها. كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم... إلخ). إلى جانب الهجرة الصهيونية التي تمت في عهد انتدابها، إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56,000 فرداً، وأصبح عددهم بعد انسحابها 650,000 نسمة. كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين. وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين، ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياستها (وتعد بآلاف)، والسجون والمعتقلات والتشريد.

وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين:

1) **مذبحة قريتي بلد الشيخ وحواسة عام:(31/12/1947)**

أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم داخل حافلة مصفحة قنبلة، قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب. ووصل الخبر إلى العمال في الداخل، فثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حواسة وبلد الشيخ، فهاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد، وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم. عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً، فرموها بالقنابل اليدوية وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة، وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً، وأحرقوا عشرة بيوت.

2) **مذبحة قرية سعسع قضاء صفد في:(14/2/1948)**

شنت عصابة "البالماخ" الصهيونية هجوماً على قرية سعسع، دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها. وأسفر الهجوم عن 60 نسمة، معظمهم من النساء والأطفال. وقد تباها العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3) **مذبحة رحوفوت في (1948/2/27) قرب حيفا**

حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحوفوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب، الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4) **مذبحة الحسينية في:(13/5/1948)**

قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها، وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

5) **مذبحة بنيامينا في(27/5/1948)**

لقد حدث في هذا الموقع مذبحة حيث نسف قطار. وقد تمت العملية في (1948/5/27)، وأسفرت عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين. وتمت عملية ثانية في (1948/5/31)، حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.

6) **مذبحة دير ياسين في:(9/4/1948)** مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان هما "الأرغون" (التي يرأسها مناحيم بيغن، رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد، والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً) وتم الهجوم باتفاق سابق مع منظمة الهاجاناه. وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية، معظمهم مدنيين عزل. وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دولياً، وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية. وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.

7) **مذبحة الطنطورة غي (1948/5/22)** هاجمت كتيبة 33 التابعة للواء الكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات، وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور وقتل من يقابلوه، بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة. ولم يُكشف الخبر عنهم إلا بقيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته التي خصها في المذبحة، وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

8) **مذبحة قرية الدو ايمة في:(29/10/1948)** هاجمت كتيبة تابعة لمنظمة "ليحي" الصهيونية بقيادة موشيه ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل، وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها، ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب. وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان، ونسفوا بيت المختار. وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه، وقتل منهم 75 رجلاً. كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات. وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب، وقد جرى اقتناصهم وقتلهم. كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة، التي لم يُكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية تحقيقاً عنها. وقد أقام الصهاينة مستعمرة "أماتزيا" على أرض القرية المنكوبة.

9) **مذبحة يازور قرب يافا في كانون أول عام:(1948)** تقع القرية على مفترق طرق. تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية، كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها، وكانوا سبعة. فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه، ييغال يادين، أمراً إلى قائد البالماخ ييغال آلون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في (22 كانون الثاني 1949)، أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة، وتولى إسحاق رابين عمليات البالماخ، فهاجم القرية فجر ذلك اليوم فنسفت

قواته العديد من المنازل ومباني، منها مصنع الثلج. وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام. وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة. كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة. ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10) **مذبحة شرفات في:(7/2/1951)** في الثالثة من صبيحة يوم (1951/2/7) وصلت سيارات قادمة من القدس، وعلى ثلاثة كيلومترات ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة، وتوقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً. واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة، وأحاطوا ببيت المختار، ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانه ونسفوها بمن فيها، وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم، والتي أصابت أهل القرية. وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى، وثلاث نساء وخمسة أطفال، وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11) **مذبحة بيت لحم في:(26/1/1952)** وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح للطوائف الشرقية، قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم، وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية، فقتل صاحب المنزل وزوجته وطفلان، وجرح طفلان آخران من العائلة.

12) **مذبحة قرية قلمونة في(29/1/1953)** هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلمونة العربية الواقعة في الضفة الغربية، حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها، وخلفت تسعة شهداء مدنيين إلى جانب عشرين جريحاً.

13) **مذبحة قلقيلية في(28/8/1953)** حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء الأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين. ولم يكتم الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية، حتى أن موشيه ديان صرح بقوله: "سأحرث قلقيلية حرثاً". وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها، وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953، تسللت إلى قلقيلية مفرزة من الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات، تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة. فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف، وزرعت بعض الألغام في الطرق، في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة. وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه، وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة. لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم، وتراجع العدو بمدرعاته. وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات، واحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها، وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة، فزادوا قواتهم حوله، وحشدوا أعداداً كبيرة حوله. وقد استغل العدو هذه الظاهرة، فقذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية، وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها. وتقدمت آليات العدو إلى مركز الشرطة واحتلوه، ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت، ويقتل كل من يصادفهم في الطريق. وكان حصيلة المذبحة غير المتكافئة قرابة سبعين شهيداً من سكان القرية وما حولها، إلى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيوت أهل البلدة، وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني القريبة من القرية، واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق، فتكبدت بعض الخسائر. وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدتهم بعض الخسائر.

14) **مذبحة قبية في:(15/10/1953)** في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية، يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية، والتي يرأسها "آريل شارون" ونائبه شالوم (والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956). وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953، بلغت ذروتها في مذبحة "قيبية"، القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية. وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء انتقاماً لمقتل امرأة يهودية مع طفلها. كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية. إلا أن مجلس الأمن، الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد، لذلك لابد من الانتقام. وأسفرت مذبحة قبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل، ونسف 41 بيتاً ومسجد وخزان مياه القرية. وقد أبيدت أسر بكاملها، مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً.

وتعد مجزرة قيبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية، فضلاً عن حقوق الإنسان، ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية. والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة، وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15) **مذبحة دير أيوب في:(29/5/1954)** في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب، تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثانية عشرة. وعند وصولهن إلى نقطة قريبة من القرية، وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة، فاجأهم بعض الجنود الصهاينة. فهربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذها، وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى.

أسرع أهل الطفلة إلى المكان المذكور، وشاهدوا نحو اثني عشر جندياً يسوقون أمامهم الطفلة باتجاه بطن الوادي في الجنوب، حيث أوقفوها وأطلقوا عليها النار واختفوا وراء خط الهدنة. وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة، وفي اليوم توفيت الأخرى بالمستشفى الذي نُقلت إليه.

16) **مذبحة نحالين في:(29/5/1954)** قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 جندي باجتياز خط الهدنة، وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم، حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية، وبثت الألغام في بيوت القرية ومسجدها. وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

17) مذبحة كفر قاسم (29/أكتوبر/1956) في (1956/10/29)، وعشية العدوان الثلاثي على مصر، تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية. وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملينكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة إلى الساعة الخامسة مساء، وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه، خاصة أولئك الذين يعملون خارجها، وهو ما نبه إليه مختار القرية حينها لقائد القوة الإسرائيلية. كما تلقى شموئيل ملينكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية" بقوله: "الأفضل أن يكون هناك قتل، لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف". وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة "شالوم"، فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم، بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين، ولقي مصرعه. كما قتلت مجموعة منهم امرأتين كن عائدتين من جمع الزيتون، وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي. وعلى ساعة ونصف الساعة سقط 49 شهيداً و13

جريحاً هم ضحايا المذبحة. وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال سلحوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية.

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين، إلى أن اضطرت إلى إصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام. وتغطية على الجريمة، أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهم على رأسهم العقيد شدمي. وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موشيه حاييم. بينما عوقب ملينكي بالسجن 17 عاماً، وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً، في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات، وحظي الباقي بالبراءة.

وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة، فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً، حيث أصدر إسحاق بن تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم. بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم (وهم اليهود الشرقيين) وبين الأشكناز (القادمين من أوروبا وروسيا وأمريكا).

18) **مجازر العدو الإسرائيلي في خان يونس** شن الإسرائيليون على خان يونس غارتين عام 1955م، زاعمين أن المقاتلين الفلسطينيين مازالوا ينطلقون منها ومن مخيمات اللاجئين قربها من إسرائيل للقيام بعملياتهم. ووقعت الغارة الأولى في (1955/5/30م)، وكانت حصيلتها استشهاد عشرين عربياً وجرح عشرين آخرين. والثانية في مساء (1955/8/31م)، واستهدفت مع خان يونس بلدة بني سهيلة. وقد استخدم العدو في هذا الهجوم الأخير مختلف أنواع السلاح الأرضي من مدفعية ودبابات ومجنزرات وقوات مشاة من سلاح الهندسة. وقاوموا بضراوة وكبدوا العدو الكثير من الإصابات، إلا أن التفوق الساحق للعدو اضطر فئات الحرس الوطني إلى الانسحاب والاحتماء في مخفر الشرطة، حيث استمرت المقاومة لفترة أخرى من الزمن. وفي النهاية تمكنت مجموعة من سلاح الهندسة الإسرائيلي تحت حماية القنابل وستار الدخان من الاقتراب من المخفر فنسفته بما فيه. وكانت حصيلة الغارة استشهاد 46 عربياً وجرح خمسين.
في (1956/11/12) قام العدو الصهيوني بالهجوم على خان يونس ومخيم اللاجئين، واحتلت البلدة والمخيم، وقتل منهما 275 شهيداً، وذلك بإطلاق الرصاص عشوائياً على أهالي المخيم، فقتل 111 لاجئاً في المخيم.[5]

حرب (1967م) خطة إسرائيل باحتلال بور سعيد عن طريق خان يونس ورفح

وما أن سارت مجموعة من القوات الشمالية الإسرائيلية المكلفة بإسقاط خان يونس ورفح والتوغل نحو الساحل باتجاه بور سعيد، حتى اصطدمت بمقاومة جيش التحرير الفلسطيني ذات التسلح الخفيف. وشنت المجموعة الأولى من الرتل الإسرائيلي هجوماً عنيفاً على بلدة خان يونس، غير أنها أخفقت. فكررت الهجوم مرات عديدة لمدة يومين، وكانت القوات الفلسطينية تردها وتدمر مدمراتها. وتحت التحدي والضغط، اضطرت المجموعة ترك خان يونس محاصرة والتوجه إلى رفح. واستنفذت المجموعة ما بقي لديها من احتياط، وعززت الرتلين المدرعين برتل ثالث، فتصدت لهما القوات المصرية

بالأسلحة المضادة للدروع، مما اضطر القوات الإسرائيلية التحول نحو العريش وتقدمت باتجاه الشيخ زايد وإلى مناطق العريش.[6]

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية، ج6، ص520، ياسين.

(2) نفس المرجع، ج6، ص522.

(3) نفس المرجع، ج6، ص525.

(4) نفس المرجع، ج6، ص530.

(5) نفس المرجع، ج6، ص... (فلسطين بالذاكرة).

(6) كل المجازر الواردة، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية - إنترنت).

الفصل الثامن: ثقافة المقاومة السلمية

القصة في و اقع الثقافة الفلسطينية

تعدد كتاب القصة من أبناء فلسطين، وكثرت القصص القصيرة منها والطويلة التي تكشف معاناة هذا الشعب والتحديات التي قابلته ولا تزال. والتي أقدم للقارئ نموذجاً منها للكاتب الشهيد وصديقي الأستاذ غسان كنفاني، منها:

رحلة أسرة فلسطينية:

نزحت عام النكبة من يافا إلى عكا إلى لبنان عبر رأس الناقورة. وعند رأس الناقورة، تشتري النسوة سلة برتقال وهن بعيدات عن أرض البرتقال اليافاوي. ثم تكمل الأسرة الطريق فيقول: "وعندما وصلنا صيدا وصرنا لاجئين". يبيع رب الأسرة حُلي زوجته ويستأجر سكناً متواضعاً تأوي الأسرة إليه، وينتظر (يوم 15 أيار) آملاً أن تحرر الجيوش العربية فلسطين كما أكدت ووعدت. ولكن اليوم يمر، وتترسخ الهزيمة، ويطول النزوح، ويأس رب الأسرة وتطول معاناته، ويكاد يقتل نفسه وإلى جانبه برتقالة جافة يابسة. إن صوت الراوي في قصة "أرض البرتقال الحزين" مفتاح أساسي للإنجاز الحقيقي لهذا العمل، فالراوي وهو الأخ الأكبر في الأسرة يتوجه بالسرد إلى أخيه الأصغر أحياناً، وإلى إخوته كلهم في أحيان أخرى، كي يكتسبوا من القصة المعرفة والوعي.

وفي مجموعة غسان كنفاني "عالم ليس لنا" (1965)، تطغى موضوعة المنفى بشكل بارز. فقصة "جدران من حديد" صورة شعرية لطائر ينتفض في قفصه دون انقطاع إلى أن يحتضر في سجنه. ولكن النهاية غامضة: هل يموت الطائر لأنه استنفذ قواه، أم لأنه توقف عن الانتفاض؟ ومن قصصه مجموعة "عن الرجال والبنادق"، وفيها اتصال بين الحاضر والماضي، وتتمثل في العلاقة بين الآباء والأبناء. فمفتاح المنزل القديم في الوطن السليب يشبه الفأس. وفي المنفى، يكشف (الصغير) هويته ويتحسس جذوره. واكتشاف الهوية معادل لحمل السلاح. وهذه هي مواضيع "عن الرجال والبنادق": المخيم، والمعاناة، والشعور، والوعي بالمواجهة عبر الكفاح المسلح.

وفي عام 1968، أصدر غسان كنفاني في بيروت مجموعته القصصية الرابعة "عن الرجال والبنادق". والمدخل إلى المجموعة قصة تعود بنا إلى عام 1949 وحياة البؤس في المخيم الفلسطيني. وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: القسم الأول في أربع قصص قصيرة تشكل رواية غير طويلة. القسم الثاني أربع قصص قصيرة أخرى، تقدم كل منها معادلة فنية لنضال الفلسطيني ضد الجوع من أجل البقاء، ونضاله المسلح ضد الغزاة. ويُرَقِّم الكاتب القصص من (1) إلى (9)، معتبراً إياها أجزاء متتابعة من عمل واحد، يقدم صورة نضالية للشعب الفلسطيني منذ ثورة المقاومة المسلحة التي انطلقت مرة ثانية في منتصف الستينات من القرن العشرين.

وقد ظهر في الناصرة مجموعة توفيق فياض "الشارع الأصفر"، تعبر عن هموم الفلسطيني اليومية والنفسية والحياتية بأسلوب مشحون بالعاطفة. وتجاوزت هذه المجموعة طابع السرد لتصل إلى نوع جديد من التركيب الحديث، مع تضمين

القصة عدة أبعاد واقعية ورمزية، وتمتزج بين الوطن والتراث، فتكسب مضمونها الكفاحي والرمزي دون أن تهمل القضايا الاجتماعية اليومية. وترتبط قصص المجموعة بالصراع السياسي الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة، ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد نشطت الحركة في المدارس، إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي. وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات، وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين، مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير. بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمتهم، فقد ظهرت مسرحيات "جابر عثرات الكرام" و"جريح بيروت" و"عنترة العبسي" و"صلاح الدين الأيوبي" و"مملكة أورشليم" و"طارق بن زياد" و"فتح الأندلس". وفي العقد الثاني من القرن العشرين، برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي، وهما: خليل بيدس الذي أخرج بين عامي (1924-1928م) في الناصرة مسرحية (السموأل) أو "وفاء العرب" لأنطوان الجميل. أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح، مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية "عبد الكريم الخطابي" التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب، وذلك بين عامي (1927-1928م).

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض وفرقة رمسيس وفرقة نجيب الريحاني)، فعرضت مسرحياتها في القدس، فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي، إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.
وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية، منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة اسكندر أيوب، وقد مثلت رواية "هملت" لشكسبير، وكانت من أقوى الفرق التمثيلية.

وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن: يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.
ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في (1936/4/1م)، وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان، راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي، رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له، وتحدى الجميع وشجع فرقة (الجوزي). أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية. وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة، صاحب رواية "وفود النعمان على كسرى أنو شروان" التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914م، ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929م.وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م، وله مجموعتان: "ذكاء القاضي" و"العدل أساس الملك"، أو "لن أبيع أرضي" و"عيد الجلاء" و"فلسطين لن ننساك". وفي عام 1934م، ألف المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي مسرحية "في سبيلك يا وطن"، وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم، وهو من مواليد الناصرة، وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية: "السجناء الأحرار" - "غرام الميت" - "قبلة المحبة" - "صراع بين العلم والإيمان"...إلخ.

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات، ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية: "وطن الشهيد" عام 1947م، "شيخ الأندلس" 1949م، "حرب القادسية" 1951م، "الفداء" 1968م.

وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897م مسرحية "مصرع كليب" 1947م، "أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966م. وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح، فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938م، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة، وهي: "نساء وأسرار" و"صبر وفرج"، "قيصر روسيا ومصرعه"، "أصل شجرة الميلاد." وكتب غسان كنفاني من المسرحيات: "الباب"، و"البني"، و"جسر إلى الأبد"، وصدرت جميعها سنة 1978م بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو، وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي. وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف. وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال بنشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت فرق المسرحية لنوعين من الرقابة: فرقة تعمل داخل الخط الأخضر، وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية)، خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول إلقاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية. وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري، وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض: مسرحية "أنا راجع يما" لمسرح آذار، ومسرحية "رجال في الشمس"، ومسرحية "كان الموت ونحن على الميعاد" لمسرح أبناء شفا عمرو. ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة، وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح. والمسرحيتان هما: "ثمن الحرية" لمسرح عبلين، ومسرحية "الناطور" لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة. كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية "يوم الطاحونة" يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون. واحتجزت الرقابة نص مسرحية "إجازة" لمسرح الغربال ستة أشهر، ثم اضطرت إلى السماح بعرضه.

وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967م، وقد قدمت كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر: "رجال في الشمس" - "بنادق السيدة كرام" - "الملك هو الملك" - "والحضيض" - "الصوت الغجري". كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية "كفى" التي عرضها على خشبته. وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين، وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ (8،7،6/9/1982م). وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان، هما: "ثمن الحرية" لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي. وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين، اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي". وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي، فنشأت في عام 1982م المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا)، ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج، والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية، وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية، وكشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب)، بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية، وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولا يزال، على مرأى وسمع العالم كله.[1]

وقد بقيت فرقة "بلالين" حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها "يونس الأعرج" لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها. وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة، تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين. وقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية، وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في (آب/1973)، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي (1975/4/28) شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي: بلالين و(بلا-لين) ودبابيس وكشكول. وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة (أيلول/1973). وأتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها، مثل عطية أبو رميله وفوزي السكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم. والمسرحيات التي لـ(بلالين) هي: "قطعة حياة" و"العتمة"، و"نشرة أحوال الجو"، و"الكنز"، و"تع تخرفك يا صاحبي". ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة، مثل (قطعة حياة) و(العتمة).

2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
4) إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها، ثم صيانتها من طمع الغرباء والغزاة (الكنز).
5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال، وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية (في العتمة).
6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره، من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948، إذ قررت إنشاء "جريدة المسرح"، أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدارس أو على ناصية إحدى الشوارع، بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً. وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة "أصدقاء (بلالين)" التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح، ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها. ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم "بستان (بلالين)"، وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض "يونس الأعرج" لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين. وقد لفت نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في (آب عام 1973م)، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان الآتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي (1975/4/28م) شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي (بلالين) و(بيالين) و(دبابيس) و (كشكول). وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة (أيلول عام 1973م). وأتيح لتجربة (بلالين) أقوال نقدية تؤرخ مسيرتها، مثل عطية أبو رويلة وفوزي البكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.[2]

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحيته "المأساة في (لكع بن لكع)"، فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية "لكع بن لكع" راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات، مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد، في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام "صندوق العجب". وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي، وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان، ولا نشعر بترابط الأحداث أو تنامي. فكل فصل قائم بذاته، وكل مشهد وحدة مستقلة. ويصدّر حبيبي مسرحيته بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها: "لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن

لكع". واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب. والإهداء: "إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً)"، فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال، والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود. ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى: "أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم / وأقول أفديكم / فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم". (موسوعة الفلسطينية مجلد 4 خاص ص 233، محمود شريح)، ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المألوف في البناء المسرحي: "لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة ونحن من أهلها يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب". ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية: "فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي الذي لأمر ما أبقوا على عروبة اسمه، وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الإفرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة، قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه".

وبطلة الفصل الأول هي (بدور) أو "مجنونة بدر"، وبدور هي الأرض والقضية والأم الرمز تحن إلى أبنائها. وبطل الفصل الثاني هو بدوره رمز الإنسان الفلسطيني الرافض للمساومة والمتشبث بأرضه. أما بطل الفصل الثالث فهو (المهرج) رمز الإنسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة. ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات عميقة، فسعدي هو الإنسان العربي، وسعادية هو اليهودي، وبدران وبدرية وبيدر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي، وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع، وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف، وشهرزاد دلالة على البرجوازية العربية، والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية، وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة. وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية. وهؤلاء كلهم يشتركون في صندوق العجب أو صندوق العجائب، يصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها. ولغة المسرحية تستفيد من التراث الشعبي ولاسيما قصة الزير سالم (أبي ليلى المهلهل الكبير)، فتظهر اقتباسات حبيبي منها ويبرز تأثره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب.

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي آل لاما من بيت لحم[3]، قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية، وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850م، وأنجبت له ثلاثة أبناء (عيسى، إبراهيم، بدر). وقد تعلم إبراهيم وأخوه فن التمثيل والكتابة والإخراج، وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك. وسافرا بحراً في باخرة قاصدين مصر أولاً، وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية فنزلا إلى المدينة للعلاج، فاستأجرا بيتاً فيها وطاب لهما المقام وقررا العمل بالسينما المصرية، فأسسا شركة "كوندور فيلم" عام 1927م في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر. وكان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة في الصحراء). وللفنانين السينمائيين في مطلع القرن العشرين، وتحديداً في العقد الثالث، ظهر الأخوان بدر وإبراهيم الأما اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية، وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين. وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

1) **بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما):** ولد بتشيلي في (1907/4/23). وهو ممثل سينمائي فلسطيني، هاجر في بداية حياته إلى أمريكا الجنوبية ثم رجع مع أخيه إبراهيم إلى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب مرض بدر توجهوا إلى الإسكندرية للاستشفاء، وهناك استقرا وكونا ثنائياً ناجحاً وعملا معاً في الكتابة والتمثيل والإخراج، ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى "كوندور فيلم". وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947، أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في (1947/10/1). وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه. وبعد وفاة بدر اختار إبراهيم ابنه أخيه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر، فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948، كما الممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949، والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951، والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة)، والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير). وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات أستوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام، وتوالت النكبات على العائلة ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته انتهى بموت إبراهيم في ليلة (12 مايو 1953). وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة. أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر، فلم تقم إلا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا، ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله إبراهيم لاما، وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي، بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش) (القاهرون)، إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي.

أهم أفلامهم السينمائية:

- 1927: قبلة الصحراء
- 1928: فاجعة فوق الهرم
- 1931: معجزة الحب
- 1935: شبح الماضي
- 1935: معروف البدوي
- 1936: الهارب
- 1937: عز الطلب
- 1938: نفوس حائرة
- 1939: الكنز المفقود
- 1940: رجل دين بين امرأتين
- 1941: صلاح الدين الأيوبي
- 1942: ابن الصحراء
- 1944: عريس الهنا
- 1945: البيه المزيف

- 1947: البدوية الحسناء

2) **إبراهيم لاما :**سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفراحية في بيت لحم، ولد فيها. في منتصف الصحراء إذ عرض في سينما "الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام 1930 انتقل الأخوان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية، وبعدها قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم) عام 1928م بطولة بدر لاما وفاطمة رشدي، ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948، و(القافلة تسير) عام 1951م.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة، وعمل مع كبار النجوم مثل: فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الاستوديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات أستوديوهات لاما من أشرطة الأفلام، وتوالت النكبات وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات، ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة.

دب الخلاف بين إبراهيم وزوجته وانتهى بموت إبراهيم (انتحاراً) في 1953، بعد أن أطلق النار من مسدسه على زوجته ثم أطلق النار على نفسه وانتحر.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية (خاص) ج2 ص 233، محمود شريح.

(2) نفس المرجع، ج5 ص 25.

(3) نفس المرجع، ج5 ص 164.

الفصل التاسع: سياسة دولة الانتداب البريطاني على فلسطين لإقامة دولة إسرائيل

كانت قرية الفريديس وساكنيها من عرب 1948 من المناطق المقهورة منذ احتلالها، ومن اللحظة الأولى التي مرت بها فلسطين في الحرب العالمية الأولى. (1) انتظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت من ثورات الأعوام 1929 و1936 و1948. وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح، فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعضها، ويخربون ويسرقون ما طاب لهم، وذلك بغياب أهل البيوت الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة، ويحظروا التجوال في القرية.

كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة. أما الرجال فيجمعونهم في مركز آخر، ويُجرى استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح. وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار، يهدمون بيته بالمتفجرات، وكم هُدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين. ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود، ومنحهم كل عوامل القوة.

كنت من سكان عكا، وفي عام 1947، وفي شهر آب، سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف، وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق لسينما البرج فوق بوابة عكا القديمة. وما هي إلا لحظات، وإذا بي أرى سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة، وأمامها شخصان بلباس جنود إنكليز، ويصرخون على الناس في الشوارع بالتزام المحلات. ولما خرجوا من البوابة، لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة، وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت)، وعليها رشاش مركب على حامل. ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية، أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم، وقد أصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوشكز) فقتلوه فوراً. ولما رأى رفيقه ما حصل، وكان يسوق السيارة، لحق بهم. وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم، وقالوا لي أنهم ذهبوا عن طريق صفد. فأخذت طريقاً مختصراً أعرفه، ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة، ووجدت الجندي قد سبق سيارة الإرهابيين ووقف وراء الرشاش. وما أن اقتربت سيارة الإرهابيين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع والهرب، فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق رشاشه على السيارة، وقتل سائقها وانقلبت السيارة. وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف، فاخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم ناراً حامية. وكان الأولاد أمامي، عندما يرى أحدهم مختبئاً بين الزرع، يصرخ للجندي بقولنا: "مستر مستر هذا واحد"، فيلقى مصرعه(2) .

وبعد أن أتم الجندي مهمته، دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره، ولسان حاله يقول: "لقد انتقمت لك يا عزيزي". ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاؤه. واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن. والهدف كان عند منظمة "شتيرن" تحرير جماعتهم من سجن عكا. إذ كانت الخطة أن تذهب ثلاث سيارات بيك آب إلى مدرسة البنات، وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن، ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء، ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود، وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود ثم تبعهم السجناء العرب.

إن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية. عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين، أخبر الضباط الإنكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة. ولما وصل الحنيطي إلى عكا، حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر. ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا، وواصل طريقه. وبعد مغادرته عكا، سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً، وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات واستشهد هو وزملائه، وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة "موتسكين". وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفين إنكليز في رأس الناقورة، ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجى. وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا. توجه أربعة من مهندسي الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين. وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما، فعطلت سيارة الحراسة الأولى، وتابعت سيارة المهندسين طريقها، فتناولها الحاجز الثاني وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل، فقتل السائق وانقلبت السيارة، وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه.

لقد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي، حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض، وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً: "امشوا فوق جثثهم". وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل، لأنني قرفت هذا المنظر ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دُمِّر الرأس تماماً، وبين رعشات رجلي وهي تدوس، وكأنني أدوس على فرشة إسفنج، ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً. هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال، من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام وما أكثره في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم، وأركز على البعض منها:

- أن فلسطين هي أرضهم، وأن اليهود وعدوا بها، بينما الآثار تثبت عكس ذلك. وأن شعب إسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس القيصر في القرن السابع ق.م، وطيطس الروماني في القرن الأول ميلادي.
- أن الدين اليهودي يشكل قومية، وهذا مخالف لكل مقومات القومية. فالديانة اليهودية معتقد، وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الاسكندنافي، واليهودي الخزري مع اليهودي الأفريقي. وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة، لا تجمعهم لغة أو دم، وهم بحاجة إلى تراجم لتتم عملية التواصل فيما بينهم.
- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية، وإن الواقع غير ذلك. فمصر كانت تحكم بنظام ملكي ومرتبط بمعاهدة مع بريطانيا، وقناة السويس تحت الاحتلال البريطاني. وسوريا كان لها جيش مستقل تنقصه التدريبات والأسلحة، ولم نتأكد من وجود جيش إلا بعد أن انضم له ضباط فلسطينيون، وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري (1939-1952)، وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.
- والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا، ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد. واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال، وتحت حكم الإمامة الذي كان إمامهم يبيع طوابع البريد في ديوانه.
- والسعودية التي كان ملكها مشغول بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية، وليس عنده القدرة في تحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول، وبشكل خاص الشركات الأمريكية. وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن عزام باشا" ومعه وفد فلسطيني يرجونه بأن يشترط على الشركات بأن

تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد، لا أن تساعد الصهيونية. ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب، الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.

- هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية. علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية، ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية، خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم، في بلدة الطيبة. إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية إجزم وعين غزال، واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.

كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية، وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدربون احتياط.

قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية. تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة. إذ استغل الصهاينة هذه الهدنة، فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل غربية جديدة، ومنها الطيران، فيما لم توجد طائرة واحدة عربية دخلت أرض فلسطين.
إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية، التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً، مثل الأسلحة المصرية التي كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة، والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

إن النقاط التي ذكرتها قليل من كثير، ينبغي على الفلسطيني خاصة أن يعرفها ويدافع عن حقه وشعبه وأمته.

الهجرة في زمن النكبة عام (1948م)

تقوم سياسة الصهاينة على أساس تفريغ أرض الفلسطينية من سكانها، وإحلال اليهود محلهم. وركزت دعاياتهم على أن فلسطين خالية من البشر، وعززوها بوعد أسطوري بأرض الميعاد، ولا بد من الرجوع إليها (أي للشعب الإسرائيلي) حتى يعمرها، إذ أنها أرض السمن والعسل. وقد جذبت هذه الدعاية الماكرة كل أنحاء المعمورة. وقد ركزت رئيسة وزراء العدو (جولدا مائير) في خطاباتها بقولها: (إن أرض الميعاد أرض بلا شعب لشعب بلا أرض). وقد شاعت هذه الأكذوبة وصدقوها. ولما كان الإنجيل نسخة معدلة للتوراة، فإن المسيحيين قد أخذوا بهذا منذ وقت طويل، وأن أرضها أرض السمن والعسل، إذ أغرت زعماء أوروبا ورجال دينها بغزوها، فكانت الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين من الزمن، إذ تحررت ورجعت للأمة العربية.

في عام 1977 كنت في بريطانيا في بعثة لليونسكو لمدة ثلاثة أشهر للاطلاع على المناهج الدراسية وحياة الشعب فيها. شاهدت بعض العائلات اليهودية والتي غررت بهم الصهيونية، إذ تركوا أعمالهم في مناجم الفحم وذهبوا مع عائلاتهم إلى فلسطين، وسرعان ما شاهدوا المزارعين الفلسطينيين يعملون بكثرة في مزارعهم، وشاهدوا بيوتهم وقراهم ومدنهم وبياراتهم وبساتينهم، فأسقطوا بحيل وأكاذيب الصهيونية، وصمموا العودة لإنجلترا. ولكن السلطات ماطلتهم، فلجأوا إلى القنصلية البريطانية بالقدس فساعدتهم بالعودة، ويحكون القصة للناس ويحذرون الآخرين من كذب الصهاينة.

لقد استغل الصهاينة أبشع الأساليب غير الإنسانية في محاولاتهم التخلص من العرب وإجبارهم على الرحيل عن ديارهم. ونتج عن ذلك هجرة أكثر من 750 ألف فلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة لفلسطين. وتم تدمير 385 قرية عربية وأزيلت من خريطة فلسطين وذلك عام 1948م.

وبعد عام 1967م، وفي هذا العام استولى الجيش الإسرائيلي على كامل أرض فلسطين وسيناء والجولان. وقد اتخذ هذا الاضطهاد والتخريب كرد فعل لما فعله الأوروبيون وبشكل خاص في ألمانيا. وقد اتخذ هذا الإجراء أشكالاً عديدة منها:

- صودرت أراضي قريتي أقرت وكفر برعم بموجب قانون التملك للأراضي الذي أقره الكنيست في (1953/2/30م)، واستحلت السلطات الإسرائيلية أراضي أقرت في (1953/9/3م).
- طردت سكان قرية الجلمة غرب منطقة جنين من أراضيهم واحتلها الصهاينة. كما قامت بترحيل بدو النقب.

وقد أصدرت السلطات الإسرائيلية في عهد حكم الليكود مجموعة جديدة من القوانين العنصرية التي استهدفت التضييق على المواطنين العرب وتشريدهم من مدنهم وقراهم.(الموسوعة الفلسطينية مجلد خاص ص 346، حسن عبد القادر).

1) قانون كتساف KATSAV لعام 1979م

يقضي هذا القانون بمنع شركتي الماء والكهرباء وإدارة الهاتف والبريد والمجالس المحلية من تقديم الخدمات التي تعتبرها السلطات المحلية غير قانونية، والتي اضطر أصحابها إلى إقامتها بسبب زيادة عدد السكان وسياسة تقليص مسطحات البناء لهذه القرى. وقد تضمن هذا القانون حوالي عشرين ألف مواطن عربي وستة آلاف منزل خاصة، وقد طبق بأثر رجعي.

2) قانون كتساف للتحسينات

ينص هذا القانون بفرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها 50% من قيمة التحسين مقابل تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية، وذلك لحملهم على ترك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.

3) قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة

يؤدي هذا القانون إلى طرد المواطنين العرب الذين يستغلون أراضي الدولة منذ عهد الانتداب البريطاني، وليست لديهم وثائق تثبت ملكيتهم لهذه الأراضي، حيث تعتبرهم سلطات الاحتلال غرباء عن الأراضي. وتم مصادرة 150 ألف دونم من أراضي 17 قرية من قرى الجليل. وقد صدرت هذه القوانين في (1982/1/7م). وقد ضمت هذه الأراضي المصادرة إلى المجلس الإقليمي للمستعمرات الصهيونية في المنطقة (مشاف).

4) **تحديد حرية الانتقال** استعملت السلطات العسكرية فرض أحكامها على المناطق التي يتركز فيها المواطنون العرب في الجليل والمثلث لعقدين من الزمن، إذ تحولت هذه المناطق إلى سجن كبير يحظر الخروج منه أو الدخول إليه إلا بتصريح من الحاكم العسكري، الذي كان يرفض بمنح هذه التصاريح، حتى باتت القرى تعيش في زنزانات عديدة.

5) **تحديد أسعار خاصة بالمحاصيل الزراعية** إذ قدرت سلطات الاحتلال على المواطنين العرب التصرف بمحاصيلهم الزراعية، وفرضت عليهم تقديمها إلى شركة يهودية. ففي خريف 1952م، استولت السلطات على بعض المنتجات الزراعية في المنطقة الشمالية بدون مقابل.
6) **تحديد أجور العمال العرب** حيث حددت السلطات أجور العمال العرب، فيتقاضى العامل العربي أجراً أقل من أجر العامل الإسرائيلي، والكفاءة واحدة. وكذلك بالنسبة للوظيفة، فإن راتب الموظف العربي أقل من راتب الموظف اليهودي مهما كانت كفاءته. وقد أصدرت بتاريخ (26-12-1981م) نشرة "هستدروت" باللغة العربية، أوضحت الفرق بين العامل الإسرائيلي والعامل العربي من المناطق المحتلة.[3]
7) **الاضطهاد الديني:** لا يزال اليهود يعتبرون المسيحيين الذين يعيشون في فلسطين مرتدين، وقد اضطر بعض الكاثوليك مثلاً لممارسة شعائرهم الدينية سراً، خوفاً من أن يوصموا بالخيانة. واضطرت 1500 عائلة من الأزواج المختلفين الهجرة من فلسطين المحتلة هرباً من الاضطهاد، ذلك لأن أبناء الزواج المختلط من اليهود والمسيحيين كانوا موضع احتقار وطرد.

أما عن الاعتداء على حرية المعتقدات والمقدسات الإسلامية، فيمكن ذكر بعضها، وما أكثرها:

- حول اليهود مسجد النبي داود القائم على جبل صهيون في القدس إلى كنيس.
- نسف الصهاينة العديد من المساجد في القرى العربية المحتلة، منها مساجد قرى البروة- الغابسية- الكابري- كويكات في الجليل، وعشرات المساجد غيرها، ومحاولة حرق المسجد الأقصى.
- أغلق الصهاينة عدداً من المساجد في المدن والقرى، ومنعوا المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية فيها.

وتميزت حوادث الاعتداء على المراكز الدينية المسيحية في مدينة القدس كالآتي:

أجرة عامل عربي	أجرة عامل إسرائيلي
12.23شيكل	أجرة ساعة العامل البسيط عند بدء العمل: 19.90 شيكل
22.75شيكل	أجرة ساعة العامل المهني ذي الأقدمية 10-20 سنة: 35.50 شيكل
25شيكل	علاوة أقدمية: 51 شيكل

- تعرضت أربعة مراكز دينية مسيحية للحريق في مدينة القدس بتاريخ (11-2-1974م).
- الاضطهاد ووضع الصعاب، ووضع المناهج الصهيونية وفرضها على المدارس العربية، وأكثر من 40% من دروس التاريخ مخصصة في المناهج التعليمية وتفرض على العرب تحت الاحتلال، وهدفها حرمان العرب من تاريخهم وحضارتهم وتزييفها.

- إن 22% من اليهود في فلسطين المحتلة يتعلمون على حساب الحكومة، ولا يمنح طلاب العرب سوى 15.7% من المواطنين العرب.
- إن عدد صفوف الابتدائي في المدارس العربية في العام الدراسي (1981-1982م) أقل من العدد المطلوب بحوالي 1400 صف. وكذلك يعاني التعليم في المدارس العربية من نقص المؤهلين والمثقفين.

وفي عام 1961م، تألفت اللجنة العربية اليهودية لإلغاء الحكم العسكري. وفي (آب 1959م) أعلن بن غوريون عن سياسة جديدة تخفف من القيود المفروضة على العرب، وتلاه إشكول في (تشرين ثاني 1966م) بإعلان سياسة جديدة أخرى تلغي الحكم العسكري، وعلى دمج العرب بباقي السكان، ولو نظرياً على الأقل.

وبعد الصدمة المريرة التي تلت النكسة عام 1967م، انحسرت فكرة الاعتماد على الأنظمة العربية، واستجاب عرب الأرض المحتلة لفكرة الاعتماد على النفس، التي تجسمت بتفجر حركة المقاومة الفلسطينية وغليانها في كل مكان. وقد حاولت إسرائيل كسب أهل الضفة والجولان عن طريق استخدام عرب عام 1948 للتأثير فيهم. ويقول حبيب قهوجي: "إن محاولة إسرائيل فشلت وخاب أملها، وكما قال طوليدانو (أحد الناطقين الإسرائيليين) في صحيفة هآرتس: 'بدلاً من أن يؤثر عرب إسرائيل في عرب المناطق المحتلة للتعاون مع إسرائيل، وقع عرب إسرائيل تحت التأثير السلبي لعرب المناطق'". وبادرت السلطات عندئذ إلى منع العرب من دخول الضفة.

تجلت الروح الوثابة الجديدة في المظاهرات الكبيرة التي انفجرت عند وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وحمل المتظاهرون في عكا نعشاً رمزياً للراحل، فيما أغلقت المدارس أبوابها حداداً. وكثيراً ما تظاهر العرب وبعثوا باحتجاجاتهم على التصرفات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وما أكثرها، كالاعتقالات ونسف الدور وحرق الزيتون وتخريب الأشجار والتربة. وكثيراً ما أعلنوا عن تضامنهم مع السجناء المضربين عن الطعام. وقد عبر حتى السجناء العرب في سجن الرملة عن تأييدهم لزملائهم السجناء من عرب الضفة والقطاع. وقد تجلى تأثير الضفة والقطاع في عرب الأرض المحتلة عام 1948، بصورة أوضح في عام 1976م في وقفة "يوم الأرض."

حاولت سلطات الاحتلال الإسرائيلي استمالة عرب عام 1948 بمنحهم الحراك السياسي، وشجعتهم في الاحتفال بمرور عشر سنوات على إعلان قيام دولتهم، كما فعلت بمدينة الناصرة. ولكن عرب أم الفحم وغيرها من قرى المثلث، وضمنها الطيبة، لم يقبلوا ويسكتوا على هذه الإهانة، فعقدوا اجتماعاً ونصبوا مكبرات الصوت التي راحت تذيع خطاباتهم الحماسية الوطنية وأناشيدهم القومية التي انتشرت بعد تأميم قناة السويس. ونظموا أول مظاهرة كبيرة بمناسبة عيد العمال، أدت إلى التصادم مع الشرطة ووقوع 18 جريحاً من الشرطة، بينهم عشرة من المتظاهرين. وحدثت مظاهرة أخرى مباشرة في أم الفحم أسفرت عن إصابة (7) من رجال الشرطة وضابط واحد.

وكانت هذه المظاهرات لطمة للسلطة التي توقعت أن يكون الاحتفال مظاهرة تأييد وابتهاج لها وإن كسبت الأمة العربية. فسارعت إلى قمع المتظاهرين واعتقلت 133 شخصاً منهم. فيما اتهم بن غوريون "الأيدي الأجنبية" ورأى الأحداث. وقد أدت هذه الأحداث إلى إحداث انشقاق في سياسة الدولة، ومحاولة البعض منهم تخفيف الظلم وإعطاء الحرية للحراك العربي الفلسطينيين. واستغل أفراد القوميين العرب وأسسوا الجبهة الشعبية، والتي تألقت سابقاً وتحالفت مع الحزب الشيوعي،

واستغلت وضعها، وكانت تعارض السياسة الإسرائيلية للعرب وتطالب بتحريرهم من الظلم. وقد أعطت أحداث (أيار/ مايو 1958م) مثلاً، كشفت أن المؤسسة الإسرائيلية تخضع للمعارضة والمواجهة والمقاومة أكثر مما تستجيب للمسالمة والتفاؤل أو الإيجابية كما تسميها السلطات. وشارك في هذا النقد حتى بعض الدوائر والمؤسسات الحكومية. وبعد أسابيع قليلة، قدم 2000 شخصية بارزة عريضة يشجبون فيها سياسة الحكومة تجاه العرب، مثلت ذلك بيانات ومذكرات تتعلق بذلك.

المراجع:

(1) مشاهدات الكاتب مروان الماضي.
(2) الموسوعة الفلسطينية (خاص) ص 233، خالد الفشطيني.
(3) إقامة دولة إسرائيل.

الفصل العاشر: انتفاضات شعب فلسطين

لقد عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين وشعبها العربي من نشاطات لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد. لكن الوضع بعد الانتداب، ما فعلته الدولة المحتلة بشعب فلسطين الذي بقي فيها والذي يُقال عنهم "عرب 1948"، وكان عددهم 120 ألف نسمة، مارست معهم ما يلي:

سمتهم السلطات المحتلة "سكان 1948"، وأعطتهم الجنسية الإسرائيلية، ونفت عنهم الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً زمن الانتداب. وكان هذا القرار إجحافاً فرضوه عليهم، وجعل حياتهم في جحيم. وقد رأت السلطة بأن الرأي العام العالمي بات يميل شيئاً نحو العرب، فأزاحت عنهم الأحكام العسكرية، ومنحتهم حرية الحركة، والعمالة المقننة، والتعامل بالتجارة والصناعة، وأعطت لبعض القرى تأسيس بلدياتها وتأمين الميزانية المتواضعة لإحداث المرافق الأساسية من كهرباء وماء وهاتف. وكان هذا العطاء لا يبيح البناء إلا عن طريق رخصة رسمية من السلطات، وكانت الرخصة تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال، وفي بعض الحالات يأتي الرد بالرفض.

لقد تجلت العنصرية في أعلى مراتبها بكل عواملها، نذكر بعضها وما أكثرها:

- **العمالة في الوظائف والعمال** :هناك تمييز بين المواطن العربي والمستوطن في الوظيفة ولو تساوت المؤهلات، وكذلك في العمالة ولو تساوت الخبرات أو زادت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- **الرواتب** :هناك تمييز بين الرواتب، فالمستوطن يحصل على راتب أعلى من نظيره العربي في المهنة والمؤهلات ذاتها.
- **التعليم** :تتعامل السلطات مع التعليم في أراضي عام 1948 معاملة من الدرجة الثانية، في البناء والمرافق، ثم في الميزانية المقدّرة لكل من المدارس العربية ومدارس المستوطنات.
- **أراضي البناء** :تعاني البلدات العربية من نقص في الأراضي المخصصة للبناء، لأن السلطات صادرت أكثر أراضي القرية وأعطت القسم الأكبر للمستوطنات.
- **وضع النائب الفلسطيني في الكنيست** :مع أن النائب العربي الممثل لأبناء شعبه في القانون يحق له الدفاع عن طلبات من يمثلهم، وقد أصبح عدد النواب من عرب فلسطين يمثلون كتلة موحدة لها كلمتها في البرلمان الإسرائيلي، رغم القرارات التي اتُهم أعضاء المجلس بـ"الطابور الخامس"، وآخرون بـ"القنبلة الموقوتة"، وتم طرد بعضهم.

وبعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات الإسرائيلية فتح باب اللقاء بين الضفة والقطاع وإخوانهم العرب في إسرائيل، طمعاً في تأثير هؤلاء على إخوانهم في الضفة والقطاع للتحول نحو إسرائيل. ولم تمض سوى شهور قليلة حتى تبين لهم أن أملهم ضاع هدراً، وسرعان ما وجدوا عكس ما خططوا له، وأن العواطف العربية باتت تتلاقى، ولم يتغير عند إخواننا أي شعور بحب فلسطين من أرض ونبات وحيوان وسكن وسكان. وقد خاب ظنهم، وسرعان ما أوقفوا هذه اللقاءات والتبادل بالسلع والمعدات.

وطبقت إسرائيل سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع. ولما واجهت المقاومة الاحتلال بكل مقوماته السياسية عن طريق رؤساء البلديات والمظاهرات، قابلوهم بالضغط على هؤلاء بالنفي والسجن والاغتيال، كاغتيال رئيس بلدية نابلس (بسام الشكعة)، وهو إرهاب دولة. واشتدت المقاومة، وتجلت بانتفاضة الحجارة الأولى، مما أربكت السلطات العسكرية، وكان ردها من القسوة: كسر عظام المتظاهرين، وموت الكثير برصاص العسكر، أو إصابات بالغة بالرصاص المطاطي. زد على ذلك السجون التي حوت الآلاف من المعتقلين، حتى قيل: "إنه لم يخل بيت في الضفة والقطاع ولم يدخل أحد أفراده السجن."

ومن نشاطات المقاومة بعضها، وما أكثرها:

- **في يوم الأرض** :في 30 آذار الموافق عام 1976، شارك أبناء فلسطين في إضراب عام تضافرت فيه كل الفعاليات، وأُطلق عليه "يوم الأرض". وقد نظمته المناطق المحتلة عام 1948 ولجنة المتابعة للشؤون العامة لعرب إسرائيل. وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي، وقد تخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية، رغم تدخل بعض زعماء العرب السياسيين بعدم استفزاز سلطات الاحتلال. إلا أنه مع ذلك، برزت شعارات معادية لإسرائيل ومؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الجدران في قرى الجليل الأعلى وشفا عمرو وعكا، وباتت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية خبراً شائعاً تشير إليه الصحف.
- **يوم السكن** :في منتصف تشرين الثاني، أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، فأضرب العرب في إسرائيل إضراباً شاملاً، وأطلقوا على إضرابهم هذا "يوم السكن". وقد ازدادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من سكان عام 1948.

احتلال أم الفحم :في حزيران عام 1967، احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم، وطردت مئات العائلات وحرمتهم العودة إلى منازلهم

الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقة الانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في (9 كانون الأول 1987)، إذ قام أهل المخيم وسكان القطاع عموماً بمظاهرات صاخبة أثناء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز، عندما أطلق الجنود النار على متظاهرين في جباليا فاستشهد شخصان وجُرح ستة وعشرون بينهم أطفال.

وبعد فرض منع التجول على المخيم، انطلق شرارة الانتفاضة لتعمَّ كل القطاع ثم تمتد إلى الضفة الغربية .وإزاء هذا المشهد اليومي، هبت فلسطين المحتلة كلها تأييدًا وتعاونًا. وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة، حدث إضراب عام لم تشهد البلاد مثله منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة .وابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد وقرع أجراس الكنائس، وهذا التقليد النضالي معروف عن الآباء والأجداد. ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس ، انطلقت الجماهير في كل المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع تهتف للجهاد من أجل تحرير فلسطين. كما خرجت جماهير الداخل الفلسطيني (عام 1948م) في الناصرة وحيفا وعكا وامتدت إلى صحراء النقب .وقد شارك أهلنا في الجولان السوري المحتل في هذه الانتفاضة واصطدموا في مجدل شمس مع الشرطة الإسرائيلية.

واستمرارًا للانتفاضة، وفي ذكرى معركة الكرامة في (21 آذار)، رُفعت أعلام فلسطين ووُضِعَت المتاريس في ظل إضراب شامل في أم الفحم وقلقيلية، تحديًا للحصار العسكري والتزويدي الذي فُرض عليهما منذ تسعة أيام.

وتمكنت المجموعات المقاومة من نصب المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية .وقد قابلت السلطات الإسرائيلية ذلك كعادتها بالعنف والتنكيل من ملاحقة واعتقالات.[2]

كانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من تضحيات: 1162 شهيدًا بينهم حوالي 241 طفلاً، ونحو 90ألف جريح، وما يزيد عن 15ألف معتقلاً، وتدمير 1228منزلاً، واقتلاع 140ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية. كما تم اعتقال أكثر من 60ألف أسير من القدس والضفة وقطاع غزة والمجتمع العربي داخل إسرائيل، بالإضافة إلى الأسرى العرب .ولاستيعاب هذا العدد الهائل، افتتحت إسرائيل سجونًا جديدة مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب الذي أُنشئ عام (1988م).

وقد قُتل من الإسرائيليين 160 شخصًا بينهم خمسة أطفال، حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبوقة، منها الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر اعتراف

أدركت إسرائيل أن للاحتلال تأثيرًا سلبيًا على المجتمع الإسرائيلي أيضًا، كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي، بالرغم من الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء إسحق شامير للبحث عن أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين .وأدت هزيمة صدام حسين خلال حرب الخليج الثانية إلى ارتياح في داخل المجتمع الإسرائيلي، فقد عُدَّ ذلك نهاية لتهديد محتمل من "الجبهة الشرقية"، واستبعد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل .وأدى هذا إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد، فاكتسبت إسرائيل القدر الكافي من الثقة الذي مكَّنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر مخاطرةً على العرب، عندما استخدم الرئيس الأمريكي جورج بوش نتائج الحرب كنقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية.

وبموافقة الدول العربية، انعقد مؤتمر مدريد الذي شكَّل بداية لمفاوضات السلام الثنائية بين إسرائيل وجاراتها، بالإضافة إلى تشاور مع الفلسطينيين حول حكم ذاتي .ثم أُجري بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين في النرويج، والتي أدت إلى التوصل لاتفاق أوسلو الذي نصَّ على انسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدءاً بغزة وأريحا عام (1994)، ومتواصلًا إلى باقي المدن مثل الخليل، مع استثناء قلب مدينة القدس وهو ما يتناقض مع روح الاتفاق. وكان قد سبق التوقيع على الاتفاق تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين، تعترف فيه منظمة التحرير بحق إسرائيل في الوجود وتتعهد بإلغاء بنود الميثاق الوطني التي تنكر ذلك، بينما التزمت إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني.

وتم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي تولت مهام الإدارة المدنية الإسرائيلية السابقة تنفيذًا للاتفاقات الموقعة .وفي سبتمبر من عام (1995م)، تم توقيع اتفاق جديد سُمي أوسلو 2، وتضمَّن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل المجلس التشريعي الفلسطيني .وفي 20كانون الثاني سنة 1996، أُجريت أول انتخابات رئاسية وتشريعية

فلسطينية .وتم نقل الصلاحيات والمسؤوليات إلى ممثلين فلسطينيين في الضفة الغربية في خمس مجالات محددة: التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، الضرائب المباشرة، والسياحة.

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)

في مطلع عام (2000م)، ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لاقتراب نهاية الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بموجب اتفاقية أوسلو، بالإضافة إلى الشعور بخيبة الأمل بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بعد فشل قمة كامب ديفيد، التي بيَّنت محاولة إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة لفرض حل على الفلسطينيين بعيدًا عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية وقراراتها(194- 242- 338) يضاف إلى ذلك عدم تطبيق إسرائيل لعدد من البنود التي اتفق عليها في أوسلو أو في الاتفاقيات والمفاوضات اللاحقة، واستمرار السلطات الإسرائيلية في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية، ورفض الإفراج عن الأسرى، بالإضافة إلى استمرار بناء المستوطنات، واستبعاد عودة اللاجئين، واستبعاد الانسحاب إلى حدود عام (1967م)، فشعر الفلسطينيون بفشل واستحالة الاتفاق مع الإسرائيليين، وأن المحادثات هي مضيعة للوقت.

وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي، قام رئيس وزراء إسرائيل آنذاك آريل شارون باقتحام المسجد الأقصى والتجول في ساحاته معلنًا أن الحرم القدسي سيبقى منطقة إسرائيلية، الأمر الذي أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين فاندلعت المواجهات بينهم وبين جنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى، فسقط سبعة شهداء وجُرح 250فلسطينيًا، وأُصيب 13جنديًا إسرائيليًا .وكانت هذه بداية انتفاضة الأقصى.[3]

بدأت الانتفاضة في 28 /9/ 2000، وتوقفت فعليًا في 2005/2/8 بعد اتفاق الهدنة الذي عُقد في شرم الشيخ بين الرئيس الفلسطيني المنتخب حديثًا محمود عباس ورئيس وزراء إسرائيل آريل شارون. وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقتها بالعنف المسلح وتصاعُد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي، راح ضحيتها 4412 شهيدًا فلسطينيًا وجُرح 48322آخرون .أما خسائر الجيش الإسرائيلي فكانت 334قتيلاً، وقُتل 735مستوطنًا، ليصبح مجموع القتلى الإسرائيليين 1069 قتيلاً وما يزيد عن 4500جريح، بالإضافة إلى تعطُّل 50دبابة من نوع ميركافا وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات.

وتعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها لاجتياحات إسرائيلية واسعة، منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب.

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات، أحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وأبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية ومؤسسات السلطة وممتلكات المواطنين، واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين..

- بناء الجدار العازل وماخلَّفه من آثار مدمرة على الشعب الفلسطيني، وذلك تحت سَمْع الأمم المتحدة وبصرها، وبموافقة بعض حكام العرب المتخاذلين المنبهرين بـ"هيبة "الكيان الصهيوني.
- تطوير المقاومة للقدرات الصاروخية كماً ونوعًا، وفشل إسرائيل في القضاء على المقاومة، رغم محاولتها تأليب بعض الحكام العرب ضدها، وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل الرامية إلى تصفية القضية وحرمان أهل فلسطين من حقوقهم وتهجيرهم وتذويبهم في المجتمعات الأخرى. لكن مكرهم سيرتد عليهم، والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين، وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم، والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

1) انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادية.
2) تراجُع السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.
3) اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (رحبعام زئيفي) على يد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
4) سقوط عدد من القتلى الإسرائيليين خلال اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.
5) مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوس) في معركة مخيم جنين.
6) تحطيم أسطورة الجيش الذي لا يقهر ، خاصة بعد معركة مخيم جنين التي قُتل فيها 23 جنديًا إسرائيليًا وجُرح 75.
7) تضرُّر اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية .لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة بشكل كبير، لدرجة أن دولاً قلما تشهد المظاهرات مثل دول الخليج شهدت خروج مظاهرات تأييدًا لها، وهو ما أحرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها عدة مؤتمرات شكلية لاحتواء الغضب الشعبي وما تزال.

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

حاولت وتحاول إسرائيل توظيف الصراعات العربية الداخلية، فجمَّدت مفاوضات السلام التي تخلَّت عنها أساسًا، ورأت أن الوضع الإقليمي المضطرب يخدم طموحاتها، فأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى لإقامة المستوطنات عليها، وانطلق الاستيطان بشكل نشط رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة ، تلك المنظمة التي باتت في نظر الكثيرين أداة للاستعمار الحديث.

وطاب لحزب الليكود بزعامة نتنياهو وبتحالف مع ليبرمان العنصري، مشاهدة خذلان بعض القادة العرب وتواطؤهم العلني مع عدوهم، حيث يتم تعاون أجهزتهم الأمنية مع من لا يهتمون بمصالح شعوبهم.

إذ أخذ بعض هؤلاء الحكام يمارسون الضغط على المقاومة الفلسطينية وينعتونها بـ"الإرهاب"، فازدادت سلطة الاحتلال من جبروتها وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين من خلال زيادة وتيرة نهب الأراضي ونسف البيوت ومهاجمة وتعذيب السكان بصورة جماعية، حتى أن سكان (1948) لم يسلموا من التنكيل بسبب عروبتهم.

وأطلقت العنان لعصاباتها من المتطرفين للعَبَث بأملاك وأرواح عرب فلسطين بهدف تخويفهم وتهجيرهم، من حرق بيوت على ساكنيها، وحرق بساتين الزيتون، وتجريف الأراضي، والإعتقال الممنهج للناشطين.

وكان من أبرز هذه الإجراءات إغلاق المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة في 14/تموز/2017، وهو يعتبر عند المسلمين أول القبلتين وثالث الحرمين، إلى جانب التصريحات الاستفزازية المتكررة التي تؤكد تصميمهم على تهويد كل فلسطين، بينما الأمم المتحدة تقف عاجزة عن نصرة المظلوم بفعل هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية.

والأغرب من كل ذلك تصريحات بعض رؤساء الغرب التي تنتقد إسرائيل شكليًا على ما تقوم به دون اتخاذ أي إجراء عملي لردعها.

فقد قام شعب فلسطين في الداخل والخارج بالتصدي لسلطات الاحتلال، والتزم المقدسيون بالصمود فاحتشدوا أمام مسجدهم وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم العارية مُبرهنين للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أغلى من الروح والجسد .وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بمزيد من العنف واستخدام قنابل الدخان والرصاص المطاطي والإعتقالات، فازداد عدد الجرحى، لكن شعب القدس بقي صامدًا وخلفه أهله في كل فلسطين.

لم يُدرك الغرب بعد أن الصهيونية أصبحت عبئًا عليه، وقد يأتي دوره فيما حل بالزعامات العربية المتهاوية من ذل واحتقا، بل إن بعض الساسة في الولايات المتحدة أصبحوا يشعرون بسطوة اللوبي الصهيوني (آيباك) على مفاصل الحكم، ودوره في السيطرة على الكونغرس والبنتاغون ثم البيت الأبيض في عصرنا هذا.

إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت لنا أن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان، ويبقى التغيير في النظم سُنَّة حتمية، وأن السعي نحو العدل والمساواة ونبذ الظلم هو سمة الإنسانية في مواجهة الطغاة.

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الخاص (ج6)، ص 1006، إعداد: شفيق الحوت وبيان نويهض.

(2) نفس المصدر، ص 1008.

(3) الموسوعة الحرة: ويكيبيديا.

المؤلف في سطور

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
2) قرية إجزم.
3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة.
5) الإمبريالية المتصهينة والتميز العنصري.
6) مذكراتي.

كتب قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
بيت أولا الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس

عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا